موسى محمد علي

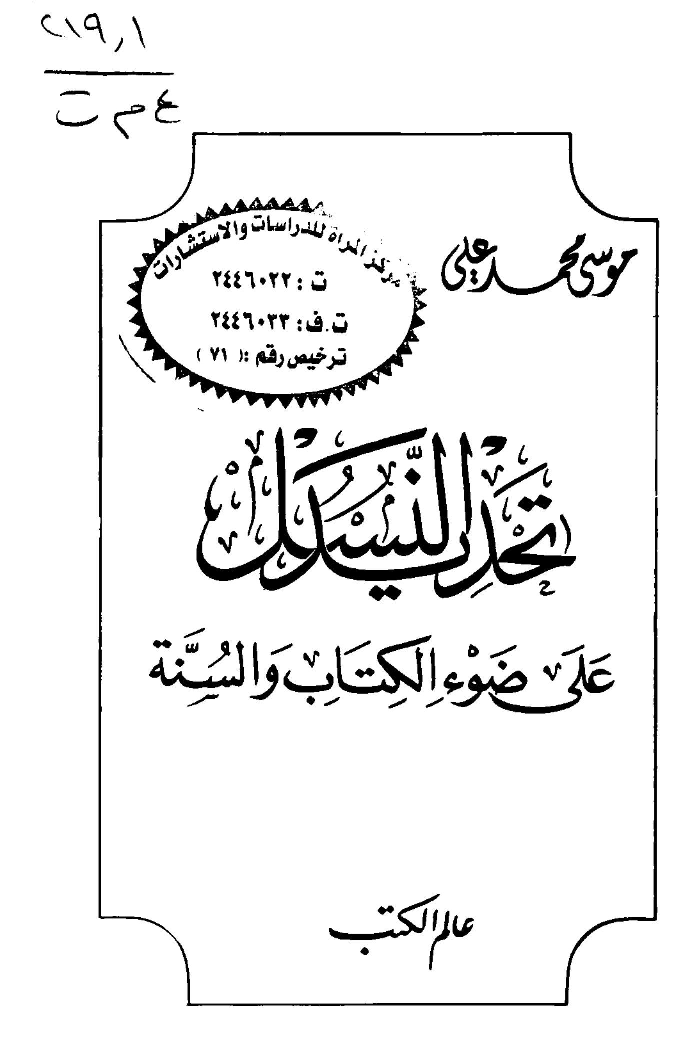
تحديد النسل

على ضوء الكتاب والسنة

على ضوء الكتاب والسنة

على ضوء الكتاب والسنة

عالم الكتب


٢١٩,١
ع م ت
مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف: ٢٤٤٦٠٢٣
ترخيص رقم :(٧١)
موسى محمد علي
تحديد النسل
على ضوء الكتاب والسنة
عالم الكتب



الطبعة الأولى

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م



بيروت - المزرعة بناية الايمان - الطابق الاول - ص.ب. ٨٧٢٣
تلفون : ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - برقياً : نابعلبكي - تلكس : ٢٣٣٩٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾

« صدق الله العظيم »

سورة آل عمران (٣) آية (٨) .

همسة في اذن كل مسلم

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء ، وإمام المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، والمتمسكين بسنته إلى يوم الدين . .

وبعد :

فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه ، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال :

« الدين النصيحة ، قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ، ولكتابه ورسوله ، وأئمة المسلمين وعامتهم » .

بهذا التوجيه النبوي المعصوم ، أوجب سيدنا رسول الله ﷺ النصيحة : لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم .

وإيمـاناً بهـذا المبدأ الإسـلامي الـدقيق المعنى ، الـذي يجبر الانسان مهما عز جاهه ، وقوي سلطانه ، أن لا يغتـر بما ملكه من مال ، أو جـاه ، أو سلطان ، بل ويجبـره كذلـك أن يعلم ان كـل ما ملكـه أو أضيف إليه ملك لله تعـالى وحـده ، وإنما استخلفه الله سبحانه في ذلك القدر وجعله تحت يـده ، لأن الله أنعم عليه به ، فلا بد وأن يصيـر ذلك حـاملاً لـه على مزيد من الطاعة وخـدمة المـولى ، بإقـامة العـدل في خلقه ، وقبول النصيحة ، ممن يسديها إليه .

إيماناً بهذا المبدأ وعلى ضـوء صراطـه المستقيم ، الذي يجب أن يتبع ، سار الخلفـاء الراشـدون ، وأمراء المؤمنين ، وأئمـة المسلمين ، من بعـدهم ، على تشجيـع حـريـة الفكـر الصـائب والرأي المستنيـر ، وقبول النصيحـة ، ممن يسـديهـا لهم ، والرجوع عن رأيهم إذا وجدوا في رأي الآخرين صحـة وصواباً .

فها هو الخليفة الراشد الثاني ، أميـر المؤمنين ، عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول :

(إذا رأيتم فيّ اعوجاجاً فقوموني) .

فقـام إليه رجـل وقال : لـو رأينا فيـك اعوجـاجاً لقـومنـاه بسيوفنا . فقال عمر رضي الله عنه :

(الحمد لله الذي جعل في هذه الأمة من لو رأى فيّ اعوجاجاً لقومه بسيفه) .

موقف كريم نبيل ، وشهامة أقوى منه كرماً ونبلاً ، وقسط عدل عمري واضح ، يقرر في صراحة صريحة ، استبشاره رضي الله عنه ، وحمده لله سبحانه حينما استوثق أن في الأمة من تحقق بالعزة والكرامة ، وقام على التمسك بحرية الفكر والرأي ، والجهر بالحق ، وأن في هذه الأمة كذلك من يحفزها على أن يستعمل حريتها ، وتتمتع برأيها ، دون أن تقر لظالم ، أو تعنو لمستبد .

حدث يوماً أن خطب رضي الله عنه ، فنهى أن يزاد في المهر ، فاعترضته امرأة بقول الله تعالى :

﴿.. وآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً فَلاَ تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً ، أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾ (١) .

فلم ينكر سيدنا عمر على المرأة موقفها ، بل رجع على الفور إلى اعلان الحق وان كان على نفسه وقال :

(أصابت المرأة وأخطأ عمر) . .

سورة النساء (٤) آية (٢٠) .

ويسمو سيدنا عمر رضي الله عنه في التمسك بالحق ، واعلان العدل ، سموا على سموه ، حينما دار الحديث بينه وبين رجل من الحاضرين معه يوماً ، والرجل يقول له : « اتق الله يا عمر » .

فأنكر عليه بعض أصحابه وقال له : أتقول لأمير المؤمنين اتق الله ؟

فقال له عمر رضي الله عنه : دعه يقولها ، نعم القول ما قال ، فلا خير فيكم إذا لم تقولوها لنا، ولا خير فينا إذا لم نتقبلها منكم .

والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والجهر بالحق ، واسداء النصيحة ، كلها أمور قررها الحق ، ودعا إليها الإسلام ، لتصلح أعمال الأفراد والجماعات ، وتحسن تصرفاتهم ، وهذه الأمور بلا شك تعد بحق واجبات اجتماعية خطيرة ، لها آثارها النافعة، ونتائجها الهامة في حياة الأمة والجماعة ، وصونها من العبث والضياع والانهيار ، بل وفي تقدمها وازدهارها في ميادين هذه الحياة .

وقد اعتبر الإسلام في هذه الأمور مقياساً دقيقاً يقاس عليه ضعف الدين وقوته ، فقال سبحانه :

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1].

ويقول سيدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، فيما أخرجه الإمام أحمد ، والطبراني والحاكم والبيهقي عن ابن عمرو رضي الله عنه :

(إذا رأيت أمتي تهاب الظالم أن تقول له : إنك ظالم ، فقد تودع منهم) فالجهر بالحق دليل كبر الهمة وعلو الجانب ، وسمو المروءة ، وهو يتحقق حيث يكون القلب العامر بالإيمان، المطمئن بصدق اليقين .

فالذي يجهر بالحق ، يعلم تماماً أنه سيتعرض لمتاعب شديدة ، وسيلاقي في سبيله أذى كثيراً ، ومع ذلك يستعذب كل شدة ، ويستهين بكل هول في مقابل ابداء الرأي الذي يرى فيه ايثار الحق ، وانصاف الصواب .

وما هذه الثروة العظيمة من الفقه الاسلامي ، الا نتيجة لحرية الفكر التي كلفها الإسلام ، وأولاها عنايته الفائقة ، وكذلك العقائد الاسلامية ، وغير ذلك من مختلف العلوم

سورة آل عمران (٣) آية (١١٠) .

وفنونها .

ذلك أن الإسلام جاء داعياً إلى البحث والتنقيب ، وتصيد الحكمة والمعرفة أنى وجدت :

« الحكمة ضالة المؤمن » .

« خذ الحكمة ولا يضرك من أي وعاء خرجت » .

والتزاماً بتطبيق هذا المبدأ ، مبدأ « الدين النصيحة » وانصافاً للحق الذي يجب التمسك بالجهر به ، نستطرد ما رأيناه ، انه الحق والصواب ، في بيان موضوع « تحديد النسل على ضوء الكتاب والسنة » موضوع هذا الكتاب .

يقول الله تبارك وتعالى :

﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[١] .

ويقول سيدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه في حديث صحيح :

« إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله »[٢] .

---

(١) سورة هود (١١) آية (٦) .

(٢) أخرجه الطبراني ، وابن عدي ، وأبو نعيم ، والبيهقي ، وابن عساكر ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه .

قرآن كريم ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، يهدي بروعة جلاله ، وبلاغة حنانه ، وحسن تبيانه ، ودلائل اعجازه ، للتي هي أقوم .

تلألأت أنوار هدايته ، ووضحت سبل ارشاده ، وتجلت حكمة توجيهاته الباهرة ، فأراح القلوب من حيرة التقسيم ، وعصم الأفكار من سوء التدبير ، وأعلم العباد أن الرزق على الله مقدر مقسوم فقال : « إلا على الله رزقها » .

فسكنت القلوب لما تحققت : بأن الرزق على الله سبحانه مضمون ، واستقرت الأفكار لما أدركت : بأن التكفل الإلهي بالرزق لا محالة موجود ، ولهذا قال أهل التحقيق :

(إذا كان الرزق على الله فصاحب الحانوت في غلط من حسبانه) .

وسنة رشيدة معصومة : أوضحت من البراهين ، ما لو أنعموا النظر فيه لتم لهم اليقين ، ولكنهم أصروا على الجحود ، ولم يقنعوا من الموعود بغير المشهود وهيهات هيهات ، فقد أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له ، وما لهم من دونه من وال .

ذلك : انه قد يكون من المستساغ كرهاً لدى القلب

والنفس أن يكون الانسان في غير مكانه المناسب ، فيما لا يهم الأمة الاسلامية، ولا يهدد أمر دينها بالأخطار والأحداق ، والقاء التبعات ، وطرح المصائب .

وقد يكون من المستساغ كرهاً لدى القلب والنفس أيضاً، أن يكون التقصير في أداء الواجب فيما لا يتعلق بشأن الاسلام نصاً ولا حكماً .

إنما الذي لا يستساغ أصلاً ، ولا يتصور عقلاً ، أن يوسد الأمر لغير أهله فيما يهم الأمة الاسلامية ، فيخوض الكثير من الأدعياء في أعمق المسائل الاسلامية وأخطرها ، ويختلق على الاسلام، ويشرع فيه من غير ادراك ولا علم ، فيضل ويضل ، حتى يصدق عليه قول سيدنا رسول الله ﷺ :

« إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً ، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا »[1] .

انه لا يستساغ أصلاً ، ولا يتصور عقلاً ، أن يشرع الكثير

---

(١) أخرجه الإمام البخاري ، والإمام مسلم ، وأصحاب السنن ، عن هشام بن عمرو ، عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه .

من الأدعيــاء في الاســلام من غيــر ادراك ولا علم ، فيضلوا ويضلوا ، حتى يكـون ذلك من امـارات السـاعـة التي نـود ألا نكـون فيها ولا منهـا ، حتى لا نكـون من أشـرار أمتـه ، كمـا أخبـرنا سيـدنا رسـول الله ﷺ ، فيما أخـرجه الامـام أحمـد ، والإمام مسلم عن أبي مسعود رضي الله عنه :

(لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس) .

ولهـذا الكـلام منـاسبـة خـطيـرة ، نحب أن نلفت النـظر إليها ، حتى لا يتألى على الله أحد بسبب الرزق ، ولا يتقـول قائل على الله بغير حق ولا علم .

فإن الكثير من الناس في عصورنا الراهنـة ، ازينت لهم الدنيا حتى ظنـوا أنهم قادرون عليهـا ، دون أن يرقبـوا إلا ولا ذمة في قول الله سبحانه :

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْـزَلْنَاهُ مِنَ ٱلسَّمَـاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ ٱلأَرْضِ ، مِمَّا يَأْكُـلُ ٱلنَّاسُ وَالأَنْعَـامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ ٱلأَرْضُ زُخْـرُفَهَـا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَـا أَنَّهُمْ قَـادِرُونَ عَلَيْهَـا : أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ ٱلآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتفَكَّرُونَ﴾[1] .

(١) سورة يونس (١٠) آية (٢٤) .

نسوا أو تناسوا أمر الله تعالى ، وبالغ حكمته ، وحقيقة وعده ووعيده ، وكأنهم هم القادرون على كل شيء ، وهم أعجز بقهرهم عن أي شيء .

نسوا كل هذا وكأنهم وهبوا أنفسهم قدرة التصرف في الملك والملكوت ، وتركوا الخالق ، وتصرفوا في شأن المخلوق ، وكذبوا على الله ، واطمأنوا على كذبهم حتى صدقوه .

فعلوا هذا ونسوا ذلك ، حتى أخذوا يقتحمون بزعمهم حدود ما لا يملكون ، وتجاوزوا قواعد الشرع ، حتى قعدوا لأقوالهم قواعد حسبما يعتقدون ، وأسرفوا حتى نصبوا لتصرفاتهم قوالب على خلاف ما ينبغي أن يكون ، فبئس ما فعلوا وما كانوا يفعلون .

انهم قالوا بتحديد النسل أو تنظيمه ، ظناً منهم أن ذلك يجلب الخير للبلاد ، ويسوق الأرزاق للعباد ، ويوفر الثروة ، ويضاعف الاقتصاد .

وعلى ضوء هذا القول كثر الجدل ، واحتدم النقاش ، وكبر الشك ، وساء الأدب في حق بارىء الخلق ، وفاطر الأرض والسموات .

هـذا شيء عجيب ، والـذي اعجب منـه ، أن الانسـان منهم يجرد نفسه بهذا القول من امكانيته البشرية المحـدودة ، ليضع نفسه في مسـتوى القدرة الإلهيـة اللا محـدودة ، فينسى عجز نفسه ، وقهر سلطان قدرته ، ويمنح نفسه ، صفة القدرة على منـع النسل ، بـالتحـديـد أو التنـظيم ، ويخفى عليـه أن صـاحب القدرة في التصـرف بالمنـع والتحديـد ، هـو وحـده بنفسه صاحب القدرة في التصرف بالمنح والعطاء ، ولا يكون ذلك إلا للواحد الخالق الرازق الذي يقول وقوله الحق :

﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـوَاتِ وَالأَرْضِ ، يَخْلُقُ مَا يَشَـاءُ ، يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ ٱلذُّكُورَ ، أَوْ يُـزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانـاً وَإِناثاً ، وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيْرٌ﴾[1] .

فمن بـالغ حكمـة الله تعالى وكمـال تصرفـه سبحانـه في العـالم ، انـه تعـالى يخص البعض بـالانـاث ، والبعض بالذكور ، والبعض الثالث بالاناث والـذكور والبعض الآخـر لا يخص بشيء أصلاً ، وهو المراد من قوله سبحانه :

﴿وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً﴾ .

فالله سبحانـه وتعالى قسم الخلق من لـدن آدم الى زماننـا

---

(١) سورة الشورى (٤٢) آية (٤٩ ، ٥٠) .

هـذا ، ثم الى أن تقوم السـاعة على هـذا التقـديـر المحـدود بحكمته البالغة، ومشيئته النافذة. ليبقى النسل، ويتمادى الخلق، وينفذ الوعد، ويحق الأمر، وتعمر الدنيا وتأخذ الجنة وجهنم كل واحدة ما يملؤها ويبقى .

يقول ابن العربي رحمه الله تعالى :

إن الله تعالى لعموم قدرته ، وشديد قـوته ، يخلق الخلق ابتداء من غير شيء ، وبعظيم لطفـه ، وبالـغ حكمته ، يخلق شيئـاً من شيء لا عن حاجـة ، فإنـه قدوس عن الحـاجـات ، سلام عن الآفات ، كما قال القـدوس السلام ، فخلق آدم من الأرض ، وخلق حواء من آدم ، وخلق النشأة من بينهمـا منهما مـرتبـاً على الـوطء كـائنـاً عن الحمـل ، مـوجـوداً في الجنين بالوضع ا . هـ .

وهذا بيان نفاذ قدرة الله تعالى ، في تكوين الأشيـاء كيف شـاء وأراد ، لا معقب لحكمه ، ولا راد لقضـائـه ، يخلق مـا يشاء ويفعل ما يريد .

فلو أن انسـانـاً من هؤلاء الـذين يقـولـون بـالتحـديـد أو التنظيم ، قدر على المنع بتحديد النسل كما زعم ، فلنا الحق أن نـطالبـه ، أن يمنـح بقـوة إرادتـه ودقـة تصـرفـه ، النســل

والعطاء ، لمن قدر الله تعالى عليه أن يكون عقيماً .

وهذا وحده لو حدث ـ ولن يكون ـ كفيل باحلال السعادة والاستقرار لكثير من الأسر التي تطلب طوال حياتها الانجاب ، والتي نضرع إلى المولى عز وجل ، أن يسبغ عليها نعمة العطاء ، والرفاهية بالبنين والبنات .

ولكن حاش لله سبحانه ، أن يكون لغيره التصرف في هذا الشأن ، الذي هو من صفاته تعالى ، وقد كتب بنفسه القهر والعجز لمن قدر عليه الهلاك والفناء من سائر عباده ، وجميع مخلوقاته .

ونقول بالتحديد ، أو التنظيم ، لأنهما في الحرمة سواء . ذلك : أن المنع المنهي عنه متحقق فيهما ، والذي يملك المنع هو الذي يملك العطاء ، ولن يكون ذلك إلا لله الواحد الخالق الرازق سبحانه .

فمن قال بتحديد النسل ، يريد الاعتداء على النطفة والتعرض لمنعها من أن تؤول الى النسل ، وكذلك أيضاً من يقول بالتنظيم ، غير أن الفرق بين التنظيم والتحديد غير جوهري ، فإن مفهوم المنع بالتحديد يقصد منه التأبيد ، ومفهوم المنع بالتنظيم يقصد منه المنع لفترة من الزمن

مؤقتة ، فالمنهي عنه ـ وهو المنع والاعتداء على النطفة ـ متحقق في كل منهما ، فالحرمة فيهما سواء بسواء .

وبهذه المناسبة نذكر واقعة حقيقية عجيبة ، نلمح من خلالها : اقتضاء حكمة المولى عز وجل ، في الهبة والمنح ، ونفاذ مشيئته سبحانه وتعالى في السلب بعد العطاء .

وخلاصة هذه الواقعة الحقيقية العجيبة :

ذكرني صديق ذو ثقة وايمان ، بحال صديق وفي لي وله ، أعرفه عن قرب ، وهو لا زال على قيد الحياة يرزق .

هذا الصديق : أكرمه الله تعالى بنعمة الزواج ، ممن اختارها أن تكون شريكة حياته ، وبتوفيق من الله ورضوان منه سبحانه تم هذا الزواج ، وغمرت السعادة بيت الزوجية ، وكان هذا من مدة اثني عشر عاماً ، غير أن هذا الصديق في ذاك الوقت كان مستور الحال ، ليس ثري المال ولا ميسوره ، فهو طالب جامعي لم يتخرج بعد ، وبعد مضي بضعة أشهر من زواجه ، قدر الله للزوجة أن تحمل ، وأصبحت سعيدة بهذا العطاء الإلهي ، غير أن هذه السعادة لم تعـ ـر معها طويلاً ، فقد انقضى من مدة الحمل ثلاثة أشهر أو ما يزيد قليلاً ، وإذ بارادة الزوج الصديق تتدخل ، بعد أن فكر

وقدر ، وعقد العزم وصمم النية ، وقرر اجهاض هذا الحمل لا محالة ، بحجة انه لم يكوّن نفسه فهو لا زال طالباً ، وظروفه المادية لم تمكنه من القيام بأعباء البنوة ، وحدث ما حدث ، وتم ما أراده الزوج من اجهاض الجنين .

ونقف قليلاً هنا لنشاهد ونتدبر بما قدره الله تعالى من جزاء لهذا الزوج الصديق ، الذي نضرع الى العفو الكريم أن يعفو عنه ، وأن يتفضل عليه بمنّه وكرمه وجوده ، بما تقر به عينه وزوجته من انجاب البنين والبنات .

تم اجهاض الجنين وليس في حسبان الزوج الصديق، أن رعاية السماء تقف له بالمرصاد .

وتدهش العقول ، وتحار الألباب ، حينما ترى قدر الله تعالى واقفاً بالمرصاد ، حتى لا تحمل الزوجة بعد اجهاض حملها الأول ، رغم الصلاحية المتوفرة للانجاب في كل من الزوجين .

وتقوى الحيرة ، وتزداد الدهشة ، حينما ترى ما أسبغ الله به على الزوج ، من نعمة المال الوفير ، والاغداق الكثير ، على غير ما كان يتوقع ، ولكن ما قيمة المال ، وعيش الزوج منغصة لذاته بالجري والسعي الدائب وراء الانجاب ؟

مضى على اجهاض الحمل الأول خمس سنوات ، والزوج يغدو ويروح بحثاً وراء الانجاب حتى أعيته الحيلة ، وأقعده الاعجاز ، وهو يطوف بأمواله ينفقها ذات اليمين وذات الشمال ، ولكن دون جدوى ، فقد قدر الله وما شاء فعل . . .

واستسلم الزوج الصديق، وتوقف عن البحث ، وفجأة ابتسم له القدر ، وظهر الحمل الثاني ، بعد خمس سنوات من اجهاض الحمل الأول ، وأخذ حنين الزوجين يرافق هذا الحمل بالعناية والرعاية . غير أن قدر السماء لم يأذن لابتسامته أن تستمر ، وكأنه يقول للزوج معاتباً :

« أعطيناك ما أردنا ، فلم ترض الا بما أردت ، فها نحن نسلب ما أعطيناك ، ونتركك لما أردت » .

وسقط الجنين الثاني قضاء وقدراً، واستأنف الزوج الصديق البحث عن الانجاب ، وأخذ يجول التطواف هنا وهناك ، ولكن سبق القضاء ، وحتى الآن ، ومنذ اثني عشر عاماً، ولم يأذن الله سبحانه وتعالى ، لزوجة الصديق بالانجاب .

والعبرة التي نستلهمها ونستشهد بها من هذه الواقعة :

ـ أن قدر الله تعالى لا يعارض ولا ينازع فالتسليم له

حق ، والاذعان له واجب .

ـ أن النعمة تستوجب الشكر ، والشكر يستوجب المزيد .

ـ ان الذي يملك الهبة لمن يشاء بالانجاب ، ويجعل من يشاء عقيماً ، هو الله الخالق البارىء المصور وحده .

ـ ان ما قام به غيرك عنك ، لا تقم به أنت لنفسك ، فالعبد في تفكير والرب في تدبير .

ها هي الواقعة الحقيقية العجيبة ، وهذه هي العبرة المستفادة منها والتي نستلهم بها الرشد في القول ، وما علينا بعدها إلا أن نقول لمن أراد المنع بالتحديد : هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين في زعمكم ، ان في استطاعة الانسان المنع بالتحديد ممن يشاء ، والعطاء بالتنظيم لمن يشاء ، وحاش لله سبحانه أن يكون لأحد من خلقه قدرة التصرف في المنع والعطاء كما يشاء .

وبما أن شيئاً من هذا غير حاصل أبداً ، ولن يحصل اطلاقاً وقطعاً ، فنرجو الله سبحانه وتعالى ونؤمل ، ان يهيىء الله لأصحاب هذا الزعم من أمرهم رشداً ، حتى لا يعتقدوا الا الحق، ولا ينطقوا الا الصدق ، ولا يدعوا الا إلى الله على بصيرة .

﴿قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ، وَسُبْحَانَ ٱللَّهِ ، وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[1] .

كما نرجو منه سبحانه ، ونؤمل في سعة رحابه ، أن يهيء الله سبحانه نظرة عدل وانصاف لرجال الدعوة ، ووسائل الاعلام ، حتى لا يوجهوا إلا إلى خير ، ولا يعلنوا إلا وما يتفق مع تعاليم الاسلام، وآدابه السامية ، بل وما يتفق كذلك مع منهج المؤمنين الروحي ، منهج تقوى الله والايمان به ، وطاعة رسوله والاقتداء به ، حتى نكون على أهبة الاستعداد لتوعية الشباب وارشادهم ، توعية صادقة ، وارشاداً سليماً إذا استدعى الأمر ، واستوجبت ضرورة الاسلام ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2] .

وبالله التوفيق . . .

٣٠ محرم سنة ١٤٠٣ هـ
١٦ نوفمبر سنة ١٩٨٢ م

---

(١) سورة يوسف (١٢) آية (١٠٨) .
(٢) سورة آل عمران (٣) آية (١٠١) .



عَلَىٰ ضَوْءِ الكِتَابِ وَالسُّنَّة

تحديد النسل
وموقف الإسلام منه

يقول الله تبارك وتعالى :

﴿ وَفِي ٱلسَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ، فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَالأَرضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾[1].

ويقول سيدنا رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه ، فيما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :

« لا يستبطئن أحد منكم رزقه ، فإن جبريل عليه السلام ، ألقى في روعي ، أن أحداً منكم لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه ، فاتقوا الله أيها الناس وأجملوا في الطلب »[2].

وعد الهي صادق ، ومحض فضل ارادي متكفل، وقسم

(١) سورة الذاريات (٥١) آية (٢٢ ، ٢٣).

(٢) أخرجه البيهقي في سننه ، والترمذي في صحيح جامعه .

حق من الخالق الرازق، سبحانه وتعالى ، خلق فسوى، وقدر فهدى ، وأنعم فأسبغ وتفضل فأجزل، وأعطى فأغدق .

وحديث صحيح أخاذ ، بما فيه من دقة وروعة ، وجمال وبراعة، وتوجيه نبوي صادق معصوم ، يذكر القلوب ، ويطمئن النفوس ، ويشرح الصدور، أن الرزق مقدر مقسوم، لا يجره حرص حريص ، ولا يرده كره كاره .

فلا ينبغي الحرص على طلب الرزق من غير محله ، ولا يحمل استبطاء الرزق أحداً أن يأخذه بمعصية الله تعالى، فإن ما عند الله سبحانه لا ينال الا بطاعته، ولكن هيهات هيهات :

فإن من ظن أنه سيصل الى محل عظيم دون مقاساة الهموم والشدائد : ألقته أمانيه في مهواة الهلاك .

ومن عرف قدر مطلوبه : سهل عليه بذل مجهوده .
ومن أرمته شقوته : لم تنعشه قوته .
ومن قصمه التقدير: لم يعصمه التدبير .
ومن استهان بالدين : انخرط في سلك الأذلين .

والانسان دائماً يضاف إلى ما كان الغالب عليه ذكره ، والآخذ بمجامع قلبه ، فصاحب الدنيا هو واقع في أسرها ، مستذل بحطامها ، مسترق لجمعها ، وصاحب الآخرة هو من

طلابها، الساعين لها ، والعاملين لنيلها .

وكل إنسان قيمته ارادته ، فمن كانت همته الدنيا فقيمته خسيسة كالدنيا ، ومن كانت همته الآخرة، فشريف غرضه ، عزيز مطلبه .

وهذه الأحوال وان عظمت عند أهلها فهي بالاضافة إلى أحوال السادة الأكابر تتضاءل .

لهذا جعل الله سبحانه وتعالى ، لكل شيء ميزاناً في الحياة، وميزان المسلم الصادق ، توازن العقيدة التي لا تحمل ما للناس على ما لله تعالى ولا تحمل ما للناس على ماللآخرين، بل تكون بمثابة الميزان المحكم الذي لا يطغى على حق الله تعالى لمرضاة الناس ، ولا يطغى على حق قوم من الناس لمرضاة الآخرين .

ولهذا الكلام الدقيق مناسبة خطيرة ، لا ينبغي السكوت عليها بحال من الأحوال، بل يجب التنبيه عليها غيرة على ديننا ، وصيانة لحرمة عقيدتنا وايقاظاً لأبناء ديننا ، ونصرة لاسلامنا الحنيف .

حقيقة بشعة كئيبة أدت إلى انهيار حياتنا الاقتصادية،

وهي تنحصر في أمور خطيرة :

*** منها تبديد الأموال وكسب الحرام :**

في داخل البلاد : انحراف منحرف في وسائل جلب الأموال ، وكسب السحت والحرام ، يظهر أول ما يظهر دون خجل أو استحياء، بتخريب في البلاد ، وتبديد في الأموال، وتدمير في موارد الثروة ، وأنواع الأقتصاد .

كل هذا حاصل ولا يزال يحصل بصورة جشعة ، وابتزاز قاتل لمعاني الإنسانية الراقية، واسفاف مسف في غيبة الشريعة الإسلامية الغراء، وجشع فاضح دون ضمير يرقب في الله إلا ولا ذمة ، كأن الدنيا وما فيها من ثراء عريض ، وجاه ونعيم ، وملك وأملاك، وقفاً على ذمة أهل الجشع، وأصحاب الطمع مقصوراً عليهم وحدهم ، دون أن يكون لمن سواهم من أهل الفضل، والقناعة ، والطاعة والاستقامة ، من خيرات الله في الدنيا نصيب .

وصدق إخبار سيدنا رسول الله ﷺ، الذي أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، والإمام البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، إذ يقول :

« ليأتين على الناس زمان ، لا يبالي المرء بما أخذ

المال ، أمن حلال ؟ أم من حرام » .

وهذا واقع أليم حاصل ، وأكثر منه ، كما هو ثابت عند أمناء الاقتصاد ، مما تطالعنا به صفحات الجرائد ، كل يوم مع شروق شمسه ، من اختلاس وتهريب، وابتذاذ وتبديد للملايين ، بل ومئات الملايين ، دون وازع يردع أهل الجشع ، أو يوقف أصحاب الاطماع التي لا ترتوي ولا تشبع ، حتى حق عليهم قول سيدنا رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه ، فيما أخرجه الإمام البخاري والإمام مسلم ، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما :

« لو كان لابن آدم واد من مال لابتغى إليه ثانياً ، ولو كان له واديان لابتغى لهما ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب » .

ويتفاعل أشرف الخلق ، سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ تفاعل المنذر القوي الواضح لأمته ، وتحذيرها من الأنهماك الشاغل عن تقوى الله تعالى ومراقبة الحق سبحانه فيقول :

يحشر الأغنياء أربع فرق .

رجل جمع مالاً من حرام ، وأنفقه في حرام : فيقال : اذهبوا به إلى النار .

ورجل جمع مالاً من حرام ، وانفقه في حلال : فيقال : أذهبوا به إلى النار :

ورجل جمع مالاً من حلال ، وأنفقه في حرام: فيقال أذهبوا به إلى النار .

ورجل جمع مالاً من حلال ، وأنفقه في حلال :فيقال قفوا هذا وسلوه :

لعله ضيع بسبب غناه فيما فرضناه عليه ، أو قصر في الصلاة أو في وضوئها أو في ركوعها ، أو في سجودها ، أو في خشوعها ، أو ضيع شيئاً من فرض الزكاة أو الحج .

فيقول الرجل : يا رب ، جمعت المال من حلال وانفقته في حلال، وما ضيعت شيئاً من حدود الفرائض، بل أتيت بتمامها .

فيقال له : لعلك باهيت بمالك، أو اختلت في شيء من ثيابك؟ فيقول يا رب: ما باهيت بمالي، ولا اختلت في شيء من ثيابي. فيقول له: لعلك فرطت فيما امرناك من صلة الرحم، وحق الجيران والمساكين، وقصرت في التقديم والتأخير، والتفضيل، والتعديل .

ويحيط به هؤلاء فيقولون : ربنا أغنيته بين أظهرنا، واحوجتنا إليه فقصر في حقنا، فإن ظهر تقصير منه ، ذهبوا به إلى النار، وإلا قيل له : قف هات الآن شكر كل نعمة، فلا يزال يسأل ويسأل »[1].

هذه حال الأغنياء القائمين بحقوق الله تعالى ، يطول وقوفهم في عرصات القيامة ، كما يوضح لنا هذا الحديث ، فكيف حال المفرطين في الحرام ، المنهمكين في الشبهات ؟ المتكاثرين من الأموال، المتبعين لشهواتهم الذين قال الله تعالى فيهم ولهم :

﴿ أَلْهَاكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ، حَتَّى زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ، كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ، ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ، كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ، لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ، ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ، ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾[2].

هذه المطالب الفاسدة، هي التي استولت على قلوب أهل الجشع والطمع ، تسخرها للشيطان، وتجعلها ضحكة

---

(١) أخرجه ابن حميد في مسنده ، والطبراني في معجمه الكبير ، وقال الطبراني : رجاله رجال الصحيح .

(٢) سورة التكاثر (١٠٢) آية (١ ـ ٨).

لـه ، دون أن تأخـذ لنفسهـا عبـرة ، ولا من ضـربتهم الـدنيـا بأنيابها عظة .

وهـذا جانب خـطير من جـوانب مشكلاتنـا الاقتصاديـة ، تمثـل ولا يزال يتمثـل في الذين لا يـرجون لقـاء الله ، ورضوا بالحياة الدنيا ، واطمأنوا بها ، ونسوا أو تناسوا قول المحاسب الجبار الأكبر :

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيهِم أَعْمَـالَهُمْ فِيهَـا ، وَهُمْ فِيهَـا لَا يُبْخَسُـونَ ، أُوْلَئِـكَ ٱلَّـذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلآخِـرَةِ إِلَّا النَّارُ ، وَحَبِطَ مَـا صَنَعُوْا فِيْهَـا وَبَـاطِـلٌ مَّـا كَـانُـوا يَعْمَلُونَ ﴾[1].

وقول الحق سبحانه :

﴿مَن كَـانَ يُرِيـدُ حَرْثَ الآخِـرَةِ نَزِدْ لَـهُ فِي حَرْثِـهِ ، وَمَن كَانَ يُرِيْدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا، وَمَا لَهُ فِي ٱلآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾[2] .

نسوا كل هذا أو تناسـوه ، بل إنهم نسـوا أو تناسـوا أيضاً حكمة الله سبحانه وتعالى في تسمية المال بالمال .

---

(١) سورة هود (١١) آية (١٥ ـ ١٦).

(٢) سورة الشورى (٤٢) آية (٢٠).

ففي تسمية المال بلفظ « المال » بيان واضح ، وعظة بالغة ، وحكمة دقيقة ، تتضح أول ما تتضح : أن الله سبحانه وتعالى ، لما أطلق هذه التسمية عليه ، أثبت لا محال ، أن المال « وهو مال الله ، وهو غاد ورائح » مائل بفطرته لا يعتدل أبداً ، ولا يستقيم حاله إطلاقاً ، وهو بهذه التسمية مائل غير معتدل ، ومعوج غير مستقيم .

ولهذا أوجب الحق سبحانه وتعالى على بني الإنسان الجهاد المستمر نحوه ، ليقوّمه في حق نفسه ما أمكن إلى ذلك سبيلاً ، حتى لا يضل ولا يطغى .

فإذا كان الإنسان فقير المال غير ميسوره : فإنه يحتاج دائماً لجهاد النفس والقلب بالصبر على فقده وفقره وعسره أولاً ، والجهاد الطويل ، والكد المستمر ، والنصب الدائب للحصول عليه بطرقه الحلال المشروعة ، حتى لا يحصل عليه ، ولا يأخذه من غير حلّه ، ليسدّ به حاجته ، ويكفي به ضرورة مؤونته ، وضرورة مؤونة من يعول .

وإذا كان غنياً موسراً ، فإنه يحتاج دائماً لجهاد النفس والقلب أيضاً ، حتى لا يقتر ولا يسرف ، ولا يضل ولا يطغى ، بما أسند إليه من مال الله الذي أتاه ، بل ويحتاج كذلك إلى جهاد

وجهاد طويل ، ليؤدي حق نعمته فيما خلقت له قبل أن عنه ، من أين اكتسبه ، وفيم أنفقه .

﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَعِيمِ ﴾ .

فلا بد من : لتسألن عن النعيم الذي ألهاكم والتكاثر به ، والتفاخر في الدنيا ، .

ماذا عملتم فيه ؟ .

ومن أين وصلتم إليه ؟

وفيم أصبتموه ، وماذا عملتم به .

يقول قتادة رضي الله عنه ورحمه :

« إن الله عز وجل سائل كل عبد عما استودعه من نعمه وحقه » .

ها هي حقيقة المال ، وها هو مفهوم طبيعته الذي استولى حبه على قلوب أهل الطمع والجشع ، حتى أنساهم أنفسهم ، وأخذوا في جمعه بطرقهم المسعورة ، واجتذابه بحرام من حلّ ، وحل من حرام .

فلو أننا طبقنا الشريعة الاسلامية الزاجرة، وضربنا بيد من حديد على يد العابثين بأموال الدول واقتصادها، لاستقر الحال، واستقام الأمر، وتوفر الكثير والكثير من الأموال، التي

تنتهب بطريق السحت والتهريب ، وما كنا في حاجة الى القول بتحديد النسل وتنظيمه .

● **ومنها عدم تطبيق ركن هام من أركان الشريعة الإسلامية، وهو الزكاة :**

فإن الزكاة التي فرضها الله تبارك وتعالى من الأموال تؤخذ من الأغنياء وترد إلى الفقراء قد تولى الإسلام - بصورة دائمة - توجيه الحياة الإنسانية الوجهة التي يراها تكفل الحياة السعيدة الكريمة للإنسان ، في دينه وفي دنياه معاً : يوجهه في معتقده ، وقد أرانا الله سبحانه ، هدى الإسلام في عقيدة المسلم ، وهو يوجهه في أعماله الدينية الأخرى ، سواء منها التي يتصل الإنسان فيها بربه ، أم التي تصله بالإنسان أخيه .

وعناية الاسلام بحياة الناس ، وصلته بها وبتوجيهها ، تتطلب أن تكون له مبادىء ثابتة واضحة يسير الناس عليها ويحتكمون اليها عندما تحوجهم الحاجة الى ذلك، فكانت شريعة الاسلام استجابة لما تطلبته العناية، وتمثلت هذه الشريعة في القرآن الكريم، يرسم خطوطها الكبرى ، وفي أفعال رسول الله ، ﷺ ، توقف المؤمنين على كيفية تطبيقها، وفي أقواله التي يمثلها الحديث النبوي ، تفصل المجمل ،

وتوضح المبهم ، وتبين الغامض .

والقرآن الكريم قد كرر الحديث في تبيين منزلة الانسان في هذا الكون . فهو خليفة الله في الأرض ، خلقه ليعمرها، والمكونات بما فيها من مختلف العوالم ، انما خلقت لهذا الانسان ليتصرف فيها ، وينتفع بجميع ما يمكنه الانتفاع به من خيراتها .

وهذا الحديث - مهما اختلف الصوغ فيه - يرمي الى الابانة عن كرامة الانسان والاشادة بمنزلتها في التعاليم الاسلامية ، وسمو مكانته فيها ، فهو رفيع المنزلة في حديث الاسلام عما يجب ان يعتقده الانسان وكيف يجب، وهو كريم معزز عند الحديث عما يجب عليه أن يعمله .

وكرامة الانسان ومنزلته السامية هذه ، لا يختص بها - في الاسلام - انسان دون انسان بل هي حق له كانسان من غير أن تدخل في الاعتبار تلك العوارض التي تلحقه من مال وجاه ولون ونسب وغيرها ، فإذا ما فضل انسان آخر وتفاوتت المنازل وتباعدت الدرجات والمراتب ، فإن ذلك يرجع إلى ما يقدمه الانسان لربه ، ولأخيه الانسان من أعمال الخير ، وإلى حظ كل انسان من التشبث بمبادىء الانسان وتمثله لها .

وحق الإنسان في هذه الكرامة محتاج إلى عقيدة تحميه من الطغيان والاعتداء، وهنا نفهم المركز الأسمى الذي يشغله «العدل» في الإسلام : فهو الذي يعطي كل انسان حقه في الحياة الكريمة التي تليق به ، ويحمي هذا الحق من أن يطغى عليه طاغ أو يستبد به مستبد ظالم .

والإسلام - في تقديره الواقعي للإنسان - لم يجد في اختلاف درجات بني الإنسان في أرزاقهم وأموالهم وممتلكاتهم مخالفة لسنن الكون ، فالإنسان، في عرف واقع الحياة، ليس له الا ثمرات سعيه ، وهو سعي تختلف نتائجه باختلاف القدر والمواهب والكد .

ومن هنا كان من مسلمات مبادىء العدل ، في تعاليمه ، أن يحمي مال المسلم مثلما يحمي عرضه ودمه ، فمال المسلم - في تشريع الاسلام - في حمى من أن تمتد اليه، بغير الحق ، يد لا تملكه، ولكن هذه الحماية - في هذا التشريع أيضاً - يجب أن لا تمس كرامة المسلم الفقير ، ويجب أن لا تنتهي بالأثرياء إلى الطغيان واستعباد الناس .

وبناء مجتمع اسلامي على دعائم ثابتة ، يسوده الإيخاء والتعاون على البناء وأعمال الخير وخدمة الصالح العام - من أهم

الأهداف التي يقصد الإسلام إلى تحقيقها ، وفي سبيل أن يتم له هذا البناء ، وفي سبيل أن يحميه من الانهيار ، ساغ له أن يتدخل في أموال المسلمين وممتلكاتهم ، فهداهم إلى صراط الله المستقيم فيها ، ونبههم إلى حق إخوانهم الضعفاء والفقراء والمساكين في أموالهم ، ففرض الزكاة ، وأوجب على المسلم الغني أن يخرج في كل سنة جزءاً من ماله لأخيه الضعيف المحتاج ، وهكذا يحمي الإسلام كرامة المسلم الفقير من طغيان صاحب المال عليه . ومن استبداده به ، وقطع الصلة عنه .

وبلغ من عناية الإسلام بهذه الكرامة الإنسانية ، أن رفع حق الفقير في مال الغني إلى درجة العبادة . فالزكاة هي القاعدة الثالثة من قواعد الإسلام . ووضعها في عداد الأسس التي يقوم عليها الإسلام ، يجعلها ـ فوق أنها خدمة اجتماعية ـ حقا من حقوق الله تتولى الدولة جبايته وتحصيله وحمايته ورعايته ، وتجبر على أدائه من امتنع ، وتحاربه من أجله أن دعت الحال إلى محاربته ، كما تتولى ـ بعد ذلك ـ إيصاله لمن أثبت لها تحريها النزيه أنه يستحقه .

فعل دين الإسلام كل هذا صونا لكرامة المسلم المحتاج ان تمتهن ، وحماية لشرفه أن يخدش وحفاظاً على ماء وجهه أن تذهب به كدوح المسألة إذا ما تولى أخذ حقه من الأغنياء بنفسه .

فالزكاة نماء وتطهير، وهي حق واجب في مال الغني للفقير وسميت في الشرع زكاة، لوجود المعنى اللغوي فيها ، وهو تنمية المال وتطهير صاحبه .

وهي أحد أركان الدين الخمسة، ثبتت بالكتاب والسنة والاجماع ، والقياس الصحيح يقتضيها .

ولوجوبها شروط ، أهمها الإسلام، فلا تجب على كافر وأن كان يخاطب عنها في الآخرة ويعذب على تركها .

وثانيها : ملك النصاب .

وثالثها : مضي الحول إلا في الخارج من الأرض، والزكاة من محاسن الاسلام، الذي جاء بالمساواة ، والتراحم، والتعاطف ، والتعاون - فهي تقطع دابر كل شر يهدد الفضيلة والأمن والرخاء ، وغير ذلك من مقومات البقاء لصلاح الدنيا والآخرة .

جعلها الله طهرة لصاحبها من رذيلة البخل وتنمية حسية ومعنوية من آفة النقص ، ومساواة بين خلقه بما خولهم من مال، واعانة من الأغنياء لاخوانهم الفقراء الذين لا مال لهم يغنيهم ولا قوة بهم على عمل يكفيهم، وتحقيقاً للسلام ،

الذي لا يستقر بوجود طائفة جائعة ؛ ترى المال المحرومة منه يفيض بأيدي أربابه ، وتأليفاً للقلوب ، وجمعاً للكلمة حينما يجود الأغنياء على الفقراء بنصيب من أموالهم . وبمثل هذه الشرائع الكريمة يعلم :

أن الإسلام هو النظام الذي جاء بالأحكام العادلة التي تكفل للفقير العاجز العيش والقوت وللغني حرية التملك مقابل سعيه وكدحه .

وهذا هو المذهب المستقيم الذي به عمار الكون وصلاح الدين والدنيا ، حيث أعطى كل عامل حقه وكل مجتهد نصيبه ، وجعل في الأموال النامية نصيباً للمحرومين وحث على فعل الخير والإحسان بشتى الوسائل والطرق حتى صار عمل البر والاحسان هو أوسع الطرق لطلب ما عند الله .

وبهذا النظام العادل تميز الإسلام عن سائر النظام ، فلا سلب لأموال الناس وحرياتهم باسم المواساة ولا احتكار من أفراد بأرزاق الله تعالى باسم حرية التملك ، وإنما هو نظام عدل ، أعطى كل عامل نصيبه على قدر عمله ، ورحمة جعل في الأموال حقوقاً لعباده العاجزين .

وواقعة « معاذ بن جبل » رضي الله عنه حينما بعثه سيدنا

رسول الله ﷺ إلى اليمن، داعياً، ومعلماً، وقاضياً ، فبين صفة الدعوة والحكمة الرشيدة لجمع الزكاة كما تبين اهتمام الإسلام بها .

فأخبره ﷺ ـ أولاً ـ عن حال المقدوم عليهم ، لأن لكل أناس خطاباً يلائمهم كما أخبره أنهم أهل كتاب، عندهم علم وحجج يجادلون بها .

ثم أمره أن يدعوهم بالأهم فالأهم، فأهم شيء الشهادتان . لأنهما الأساس ، الذي لا يقوم بناء الدين الا بهما .

فلا تصح العبادات أن لم يوجد الاقرار قلباً وقالباً بهما .

ثم أمره اذا أطاعوه بهما ، أن يدعوهم إلى أهم العبادات الفرعية وهي الصلوات الخمس المكتوبة .

ثم بين لهم ـ بعد التزام الصلاة ـ فريضة « الزكاة » التي هي قرينة الصلاة ، وهي العبادة المالية بعد العبادة البدنية، وأن القصد منها ، المواساة بين المسلمين .

ثم بين له مالهم من حق الانصاف والعدل بعد التزامهم بأداء الزكاة، فلا يأخذ الزكاة من الكرام الطيبات، بل يأخذ

من الـوسط ، لأن مبناهـا على المواسـاة ، فكما لا يحـل أخذ الـردىء حفظاً لحق الفقيـر ، كذلـك لا يحل لـه أخذ العـالي حفظاً لحق صاحب المال .

وحيث ان للسـاعي سلطة ، يخشى أن يستغلهـا في ظلم الرعية حذره من الظلم، لئلا يدعـو عليه المـظلوم الذي تجـد دعوته أبواب السماء مفتحـه ، فتلج ، حتى تصل إلى الحـاكم العدل، فينصف لصاحبها الذي طلب حقـه منه ، وهـو مجيب دعوة المضطرين .

والإسلام ما جعل فريضة الزكاة ترجـع لهوى الشخص ان شاء أعطى وان شاء منع ، بل جعلها اجبارية لأنهـا حق الفقير في مال الله الذي أعطاه اياه .

يقـول سبحـانــه : ﴿وَالَّـذِينَ فِي أَمْــوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ . لِّلسَّائِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾[1].

فحقا على الإمام أن يجمع حقوق الفقراء ويوزعها عليهم بالعدل .

---

(١) سورة المعارج (٧٠) آية (٢٤ ـ ٢٥).

ولهذا كان رسول الله ﷺ يجمع الزكاة ويأمر أمراءه كذلك بجمعها من الأغنياء ليردها على الفقراء ، ثم بعد وفاته ومبايعة أبي بكر الصديق بالخلافة حدث أن أعلن بعض العرب منع الزكاة وقد ظنوا أن الخليفة لا يستجيز مقاتلتهم ، ولكن أبا بكر جمع سراة الصحابة وتشاور واياهم ثم أجمعوا على قتال مانعي الزكاة فأعدوا العدة وخرجوا إلى مانعي الزكاة وضربوهم ضربة حاسمة أرجعت للمجتمع الإسلامي وحدته وثبتت تعاليمه السامية التي جاء بها القرآن .

لقد كانت حرباً أهلية لانصاف الطبقة الفقيرة ولن تجد في جميع الحروب الأهلية التي قامت لانصاف الطبقة الفقيرة في أوروبا ما يعادلها أخلاصاً ونزاهة ، ذلك لأن الذين حاربوا لانصاف الطبقة الفقيرة في أوروبا هم الطبقة الفقيرة نفسها حاربوا تحت تأثير الحاجة ، أما الذين حاربوا في زمن الخليفة أبي بكر فهم سراة الصحابة، ورجال الحل والعقد وعلى رأسهم الخليفة نفسه ، الذي قال في هذه الحادثة :

« والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم عليه أو أهلك دونه » .

من هذا يتبين لنا أن الزكاة ليست احساناً فردياً وأن

اعتبارها كذلك خروج بها عن معانيها بل هي فريضة اجبارية تأخذها الحكومة الإسلامية لتصرفها على الطبقة الفقيرة .

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِم صَدَقَةً ﴾[1] وعلى هذا رأى بعض الفقهاء أن الزكاة لا يتولى توزيعها من تجب عليهم من المسلمين . وكان ذلك لابطال معنى الاحسان الفردي الذي يتحقق فيه الذل والهوان للمحتاجين ، أما عطاء الدولة للفقراء المحتاجين من غير سؤال منهم ولا منة في العطاء فليس فيه اذلال بل معونة كريمة وسد حاجة .

والزكاة تؤخذ كل عام مرة واحدة لأن نماءها لا يتحقق الا بمرور العام وهذا الحكم بالنسبة للأموال المنقولة ، أما زكاة الزرع فيتكرر الأخذ كلما انتجت الأرض .

وتؤخذ الزكاة من مال الصبي والمجنون والسفيه إذا بلغ مالهم النصاب ويدفعها الولي أو الوصي على الأموال. ولا فرق في الزكاة بين ذكر وأنثى وبين سجين وطليق .

والزكاة لا تتبع ميزانية الدولة، بل يجب أن تكون لها ادارة منفصلة والدولة إذا كانت متسعة الأرجاء فانها تترك الأمر لحكومات المقاطعات تنظم كل مقاطعة طريق الجمع وطريق

---

(١) سورة التوبة (٩) آية (١٠٣).

التوزيع .

هذا بالنسبة للزكاة المفروضة كركن من اركان الاسلام .

فلو أننا قمنا بجمع الزكاة بطريقها المشروعة، وأخذناها من أموال الأغنياء، لترد إلى الفقراء، ما كنا في حاجة إلى القول بتحديد النسل .

ذلك ان الله سبحانه وتعالى اقتضت حكمته تقدير الحق المعلوم في أموال الأغنياء بما يكفي ويسد حاجة الفقراء، فلو أن هذا الحق المعلوم الذي قدره الله في أموال الأغنياء ليرد إلى الفقراء لا يكفي حاجة الفقراء، لاقتض الأمر الإلهي زيادته عما قدره سبحانه ، ولكن حاش لله أن يكون تقديره غير كاف لحاجة الفقراء .

إذن فلابد من أخذ حق الزكاة من الأغنياء، ورد هذا الحق إلى الفقراء، لنسد به حاجة الفقراء ، ولا نقول بتحديد النسل أو تنظيمه خشية الإملاق والفقر .

*** ومنها عدم مراعاة التوسط والاعتدال في المعيشة :**

وجانب آخر أقل جشعاً من الجانب الأول، تمثل ولا يزال يتمثل في عدم مراعاة التوسط والاعتدال في المعيشة ،

ووسائل الحياة ، حتى إن الغالبية العظمى ممن يتصورون أنفسهم أنهم فقراء ، ولا يرتضون بالواقع ، ولا يقنعون بما هو كافٍ ، مع ان سيدنا رسول الله ﷺ، رسم طريق القناعة بالقليل ، ووضح وسائل المعيشة في الحياة الدنيا بالاكتفاء بالقوت اليسير، فقال صلوات الله وسلامه عليه ، فيما اخرجه أبو يعلى في مسنده، والبيهقي في سننه ، والضيٰ المقدسي في المختارة ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه :

«ما قل وكفى ، خير مما كثر وألهى ، فمن بات آمناً في سربه ، معافياً في بدنه ، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها .

ويقول ﷺ ، فيما أخرجه الترمذي والحاكم ، عن عثمان ابن عفان رضي الله عنه :

«ليس لابن آدم حق في سوى هذه الخصال » .
بيت يكنه ، وثوب يواري عورته ، وجلف[1] الخبز والماء .

ويزيد صلوات الله وسلامه عليه ، هذا الأمر وضوحاً،

---

(١) والمراد بالجلف : الخشن من الطعام .

فيقول فيما أخرجه الإمام مسلم ، والترمذي ، والنسائي ، عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه :

« يقول ابن آدم : مالي مالي، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبثت فأبليت، أو تصدقت فأمضيت » .

هذا هو الحق الواضح الذي رسم لنا رسول الله ﷺ طريقه لنسير عليه ، ونكتفي به ، بل وكان منهجاً قويماً له في حياته ، وسنة شريفة لأمته بعد انتقاله ، فقال فيما أخرجه الإمام البخاري ، ومسلم ، والترمذي ، وابن ماجه في سننيهما ، عن أبي هريرة رضي الله عنه :

« اللهم اجعل رزق آل محمد في الدنيا قوتا » .

ولكن الناس في هذا العصر لم يرتضوا في حياتهم الدنيا بالكفاف ، ولم يقنعوا في معيشتهم بالقوت ، حتى تجاوزوا حد التوسط والاعتدال ، إلى ما هو فوق مستوى وسائل الكماليات ، بل تجاوزوا في وسائل الكماليات حتى أُرْهِقُوا وأَرْهَقُوا ، مع إدراكهم لا محالة أن الإسلام هو دين :

« خير الأمور الوسط » .

يقول سبحانه : ﴿ وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ ، وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلبَسْطِ ﴾[1] .

والمعنى : لا تجعل يدك في انقباضها كالمغلولة الممنوعة من الانبساط ، ولا تبسطها كل البسط ، فلا تتوسع في الإنفاق توسعاً مفرطاً مذموماً ، بحيث لا يبقى في يدك شيء .

وحاصل الكلام : أن الحكماء ذكروا في كتب الأخلاق : أن لكل خلق طرفي : إفراط ، وتفريط وهما مذمومان فالبخل إفراط في الإمساك ، والتبذير إفراط في الإنفاق وهما مذمومان .

والخلق الفاضل هو العدل والوسط ، كما قال سبحانه وتعالى :

﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ﴾ .

ويقول تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُوا ، وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَاماً ﴾[2] .

---

(١) سورة الإسراء (١٧) آية (٢٩) .

(٢) سورة الفرقان (٢٥) آية (٦٧) .

فلو التزمنا بصدق وحق بمنهج القرآن والسنة ، وحققنا الأعتدال والترسط في حياتنا المعيشية ما كنا بحاجة إلى القول بتحديد النسل .

*** ومنها عدم الشكر لله تعالى والثناء عليه ، على ما أسبغ علينا من نعم وما جاد به من فضل :**

وجانب ثالث : له أهميته الكبرى ، تمثل ولا يزال يتمثل ، في عدم تقديم الشكر الجزيل إلى الله سبحانه ، والثناء الجميل عليه تعالى ، على ما أسبغ علينا من جزيل النعم التي لا تحصى ، وما أفاء به علينا من واسع الفضل الذي لا يستقصى ، مع إيماننا بصدق قول الحق سبحانه :

﴿لَئِنْ شَكَرتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1] .

وعلمنا اليقيني : أن الشكر يستوجب المزيد .

ويقيننا الصادق كذلك : أن الإعراض عن ذكر الله وشكره ، يستوجب ضنك العيش ، وشدة العسر ، وضيق الحياة ، يقول سبحانه :

---

(١) سورة إبراهيم (١٤) آية (٧) .

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً ﴾[1] .

فالشكر يؤكد المزيد ، ويحقق العطاء ، ويبعث الراحة ، ويسعد الحياة ويريح القلوب ، فهو من أهم أنواع الذكر ، الذي يجلب الرزق ، ويستمطر أنواع الخير من قبل السماء .

ومن تمام النعمة توفيق الشكر على النعمة ، ومن تمام النعمة أيضاً صونها عن أسباب السلبٌ والتغيير :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[2] .

« ومن تمام النعمة كذلك : التوقي منها حتى تسهل السماحة بها ، ولا يطغى إنسان بها على غيره .

فلو تحققنا بالشكر لله ورضينا بما قسم الله ، لعمنا الخير وانسابت جداوله ، وما كنا في حاجة أبدا إلى القول بتحديد النسل .

هذه حقائق لا بد وأن نصدق بها ، ونطمئن عليها ، ونعمل من أجلها قبل أن تلتهمنا الدنيا بزخرفها وتغرينا بزينتها .

---

(١) سورة طه (٢٠) آية (١٢٤) .
(٢) سورة الرعد (١٣) آية (١١) .

ولكن للأسف ، فقد عميت الأبصار ، وضلت البصائر ، وامتلأت النفوس بحب الدنيا وكراهية الموت ، وأصابها الوهن ، حتى أصبح الكثير من العلماء وغيرهم ممن لا يهمهم أمر دينهم بمقدار ما يهمهم أمر دنياهم ، يتخوض فيما شاءت له نفسه ، من مال الله ورسوله ، وهو لا يعلم أنه ليس له جزاء على ذلك عند الله تعالى ، يوم القيامة إلا التعاسة والجحيم .

أخرج الإمام أحمد في مسنده ، والإمام البخاري ، والإمام مسلم في صحيحيهما عن خولة بنت قيس رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال :

« إن هذا المال خضر حلو ، فمن أصابه بحقه ، بورك له فيه ، ورب متخوض فيما شاءت نفسه من مال الله ورسوله ، ليس له يوم القيامة إلا النار » .

وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه ، فيما أخرجه الإمام أحمد ، والإمام البخاري ومسلم ، والترمذي ، والنسائي ، أن رسول الله ﷺ قال :

« إن هذا المال خضر حلو ، فمن أخذه بحقه ، بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفس ، لم يبارك له فيه ، وكان كالذي يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى » .

كل هذه الجوانب الهامة وغيرها حاصل في واقع حياتنا اليومية في داخل البلاد ، ولا نحس في ساعة ، ولا نسمع في لحظة ، إن هذا أو ذاك تزلزل الأرض من تحته ، أو تهدم أركان طغيانه ، أو على الأقل يقف من يحول بينه وبين جبروت ابتذاذه ، واستبداده ، بل إننا نجد من فرط وسائل التشجيع والدفاع عنه ، مالا يعد ولا يحصى ، في حين أن هذه الجوانب وما يتبعها من مخالفات ، أولى بالهدم أو التصدي لها ، مهما كلفت من جهد ، وما أنفقت من أموال .

ولكن على العكس نجد الاختلاق الكاذب على الإسلام يكال كيلاً ، ويتدفق تدفقاً ، والخطر العجيب : إن هذا الإختلاق يتزعم كبر اجرامه الذين يظهرون الإسلام ، وكان من الأولى بهم أن يطلقوا ألسنتهم على أهل تبديد الأموال وتدمير ثروة البلاد ، وأنواع الاقتصاد . وأهل الإسراف والابتذاذ ، إنهم لو فعلوا ذلك لأرضوا ربهم في دينهم ، واقتدوا برسولهم في أعمالهم ، وعم الخير ، وسادت السعادة ، ولكن على العكس من ذلك نرى ونشاهد .

الضمان الإلهي لأرزاق العباد

يحلو لكثير من الناس التعنت والمغالطة والقول بتحديد النسل ، خشية الاملاق والفقر ، وينكروا : الضمان الإلهي لرزق الأولاد ، مقرونا بضمان رزق الآباء كما جاء ذلك واضحاً في قول الحق سبحانه :

﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُم ﴾[1] .

كما تعنتوا وأنكروا ، خشية الاملاق والفقر : الضمان الإلهي لرزق الآباء مقرونا بضمان رزق الأولاد ، كما جاء ذلك في قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيراً ﴾[2] .

---

(١) سورة الأنعام (٦) آية (١٥١) .

(٢) سورة الإسراء (١٧) آية (٣١) .

تعنتوا في هـذا وأنكـروا ذلـك ، دون تـدبـر لحكمـة الله البليغة التي أوجبت على الإنسان : الاعتقاد الصادق ، بأن الله سبحانه كمـا تكفل بمحض إرادتـه برزق الـوالد ، فقـد تكفل بمحض فضله برزق الولد كذلك فقال سبحانه :

﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ .

كمـا أوجبت كذلـك الإعتقاد الصـادق : بأن الله سبحـانه كمـا تكفل بمحض إرادتـه برزق الـولد ، فقـد تكفـل بمحض فضله برزق الوالد كذلك فقال تعالى :

﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ .

وفي اقتضاء تقديم ضمان رزق الوالد على ضمان رزق الولد، كما جاء في الآية الأولى، وتقديم ضمان رزق الولد على ضمان رزق الوالد، كما جاء في الآية الثانية، اشعار منه سبحانه، أنه الواحد الخالق الرازق سبحانه وتعالى .

فلا الوالد رازق للولد، ولا الولد رازق للوالد، بل الخالق البارىء المصور، هو القادر الرازق المتكفل بالأرزاق وحده، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .

إن شاء جعل الوالد هو السبب في رزق الولد فلا حرج، وإن

شاء جعل الولد هو السبب في رزق الوالد فلا حرج أيضاً :

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ، إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيراً ﴾[1] .

ويقول سبحانه : ﴿ إِنَّ اللهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾[2] .

وهذا تنبيه دقيق للعقول الراجحة ، وتذكير للألباب الواعية حتى لا يطغى الوالد على حق البنوة ظناً مه بأنه المتكفل برزقها ، ولا يطغى الولد على حق الأبوة ظناً منه بأنه المتكفل برزقها .

وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللهِ عَلَيْكُم ، هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ ٱللهِ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلأَرْضِ ، لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾[3] .

---

(١) سورة الإسراء (١٧) آية (٣٠) .
(٢) سورة الذاريات (٥١) آية (٥٨) .
(٣) سورة فاطر (٣٥) آية (٣) .

لهذا اقتضت حكمة الله تعالى ، وتجلت عظمته ، بالقول الفصل في هذا الشأن فقال وقوله الحق :

﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ، فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾[1] .

وفي قول الله سبحانه : ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ ﴾ إشارة لطيفة دقيقة فقد عبر المولى عز وجل ، في هذه الآية بقوله : ﴿ وفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ ﴾ مع أن المناسب يقتضي أن يكون التعبير بقوله :

وفي الأرض رزقكم حيث إنه سبحانه ، سخر لنا الأرض وذللها لنا ، بما فيها من نبات وجماد ، وحيوان وزروع ، وثمرات ، وبر وبحر ، وسهول ووديان ، وأمرنا سبحانه بالضرب في دروبها ، والسعي في متاهاتها ، طلباً للرزق . وسعيا في ربوعها للبحث عنه .

وفي العدول في التعبير عن قوله : « وفي الأرض رزقكم » إلى التعبير بقوله : ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ ﴾ دلالة قوية - كما أشار إليها أهل الصفوة المختارة من المفسرين -

---

(١) سورة الذاريات (٥١) آية (٢٢ ، ٢٣) .

على أنـه سبحانـه لو قـال : « وفي الأرض رزقكم لأفاد تمكن البخيل الحريص من الانتقام به من صاحبه ، ولهـذا جاء قـوله تعالى في سورة أخرى :

﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ وَكَانَ ٱلْإِنسَانُ قَتُوراً ﴾[1] .

فكان سر التعبير الإلهي بقوله : ﴿ وفي ٱلسَّمَاءِ رزقكم ﴾ هـو اشعار الخلق بـأن الله وحده ، هـو الـرازق ، وليس هنـاك رازق سواه .

وفي هذا المجال يعجبني ما أخرجه الإمام القرطبي رحمه الله تعالى بسنده عن سفيان الثوري رضي الله عنه قال :
قرأ واصل الأحدب : ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾ فقال :

ألا أرى رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأرض ، فدخـل خـربـة فمكث ثـلاثـاً لا يصيب شيئـاً ، فـإذا هـو في الثـالثـة بـدوخلة[2] رطب ، وكان لـه أخ أحسن نية منـه ، فدخـل معه فصارتا دوخلتين ، لم يزل ذلك دأبهمـا حتى فرق الله بـالموت بينهما » .

---

(١) سررة الإسراء (١٧) آية (١٠٠) .
(٢) الدوخلة : سفسفة من خواص يوضع فيها التمر والرطب .

وقال الأصمعي رحمه الله تعالى ورضي عنه :

« أقبلت ذات مرة من مسجد البصرة ، إذ طلع اعرابي جلف جاف ، على قعود له متقلداً سيفه ، وبيده قوسه ، فدنا وسلم وقال :

ممن الرجل ؟ قلت من بني أصمع .

قال : أنت الأصمعي ؟ قلت : نعم .

قال : ومن أين أقبلت ؟ قلت : من موضع يتلى فيه كلام الرحمٰن .

قال : وللرحمٰن كلام يتلوه الآدميون ؟ قلت : نعم .

قال : فاتل علي منه شيئاً ، فقرأت :

﴿ وَٱلـذَّارِيَاتِ ذَرْواً ؛فَـالْحَامِـلاَتِ وِقْـراً ، فَـٱلجَـارِيَـاتِ يُسْراً ، فَٱلمُقَسِّمَاتِ أَمْراً ، إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ، وَإِنَّ ٱلـدِّينَ لَـوَاقِعٌ ، وَٱلسَّمَـآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُـكِ ، إِنَّكُمْ لَفِي قَـولٍ مُّخْتَلِفٍ ، يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ، قُتِلَ ٱلْخَـرَّاصُونَ ، ٱلَّـذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ، يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّـارِ يُفْتَنُونَ ، ذُوقُـواْ فِتْنَتَكُمْ هَذَا ٱلَّـذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ، إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، آخِذِينَ مَآ ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُـواْ قَبْلَ ذَٰلِـكَ مُحْسِنِينَ ، كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ ٱللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ، وَبِٱلأَسْحَارِ هُمْ

يَسْتَغْفِرونَ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ، وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ، وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوْعَدُونَ ﴾[1] .

فقال : يا أصمعي حسبك ، ثم قام إلى ناقته فنحرها ، وقطعها بجلدها وقال : أعني على توزيعها ، ففرقناها على من أقبل وأدبر .

ثم عمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما ، ووضعهما تحت الرحل ، وولى نحو البادية ، وهو يقول :

﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوْعَدُونَ ﴾ فمقت نفسي ولمتها .

ثم حججت مع الرشيد ، فبينما أنا أطوف إذ أنا بصوت رقيق ، فالتفت فإذا أنا بأعرابي ، وهو ناحل مصفر ، فسلم علي ، وأخذ بيدي وقال :

أتل علي كلام الرحمٰن ، وأجلسني من وراء المقام ، فقرأت :

﴿ وَٱلذَّارِيَاتِ ذَرْواً ، فَٱلحَامِلاتِ وِقْراً فَٱلجَارِيَاتِ

---

(١) سورة الذاريات (٥١) آية (١ ـ ٢٢) .

يُسْراً ، فَٱلْمُقَسِّمَـاتِ أَمْراً إِنَّمَـا تُوعَـدونَ لَصَادِقٌ ﴾ . . . حتى وصلت إلى قوله تعالى :

﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ .

فقال الأعرابي : لقد وجدنا ما وعـدنا الـرحمٰن حقا ، ثم قال : وهل غير هذا ؟ قلت : نعم ، يقول الله تبارك وتعالى ؛

﴿ فَـوَرَبِّ ٱلسَّمَـآءِ وَالأَرْضِ إِنَّـهُ لَحَقٌّ مِّثْـلَ مَـآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾[1] .

قال : فصاح الأعرابي وقال : يـا سبحان الله ، من الـذي أغضب الجليل حتى حلف ؟

« ألم يصدقوه في قـوله حتى ألجؤ وه إلى اليمين ؟ فقـالها ثلاثاً وخرجت بها نفسه »[2] .

وعلى مثـل هذا أيضـاً ، ما أخـرجه القـرطبي بسنده ، أن قوماً من الأعراب زرعوا زرعاً فأصابته جـائحة فحـزنوا لأجله ، فخرجت عليهم أعرابية فقالت :

مـالي أراكم قد نكستم رؤ وسكم ، وضـاقت صدوركم ،

---

(١) سورة الذاريات (٥١) آية (٢٣) .

(٢) الإمام القرطبي في تفسيره جـ ١٠ ص ٤٢ .

هو ربنا والعالم بنا رزقنا عليه يأتينا به من حيث شاء ، ثم أنشأت تقول :

لو كان في صخرة في البحر راسية صما ململمة ملسا نواحيها
رزق لنفس براها الله لانفلقت حتى تؤدي إليها كل ما فيها
أو كان بين طباق السبع مسلكها لسهل الله في المرقى مراقيها
حتى تنال الذي في اللوح خط لها إن لم تنله إلا سوف يأتيها

وهذا بحق هو التوكل الحقيقي الذي لا يشوبه شيء ، وهو فراغ القلب مع الله سبحانه وتعالى .

وفي قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ﴾[1] . أكد المولى عز وجل لخلقه ، ما أخبرهم به من البعث ، وما خلق في السماء من الرزق ، وأقسم جل جلاله ، عليه بأنه لحق ، ثم أكده بقوله :

﴿ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ .

وخص سبحانه وتعالى النطق بالذكر ، من بين سائر الحواس ، لأن ما سواه من الحواس يدخله التشبيه ، كالذي يرى في المرآة ، واستحالة الذوق عند غلبة الصفراء ونحوها ،

(١) سورة الذاريات (٥١) آية (٢٣) .

وكذلك الدوي والطنين في الأذن ، والنطق سالم من ذلك كله .

ولهذا قال بعض الحكماء :

(كما أن كل إنسان ينطق بنفسه ، ولا يمكنه أن ينطق بلسان غيره ، فكذلك كل إنسان يأكل رزقه ، ولا يمكنه أن يأكل رزق غيره) .

ولا شك في هذا فإن الأرزاق في السماء ، ولو نظر الإنسان وتأمل ، لما ترك الحق لأجل الرزق ، فإنه واصل إليه لا محالة بكل طريق .

وللإمام الحسن البصري رحمه الله تعالى كلام نفيس في هذا المعنى قال فيه :

(قاتل الله أقواما أقسم لهم ربهم بنفسه ، ثم لم يصدقوه) ، قال الله تعالى :

﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ﴾ .

وفي سنن ابن ماجه ، عن حبة وسواء ، ابني خالد قالا :

« دخلنا على النبي ﷺ ، وهو يعالج شيئاً ، فأعناه عليه ، فقال :

« لا تيأسا من الرزق ما تهزهزت رؤوسكما ، فإن الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشر ، ثم يرزقه الله تعالى » .

وفي هذا المعنى قصة الأشعريين ، حين ضاق بهم العيش ، وأرسلوا رسولهم إلى النبي ﷺ ، فسمع قوله تعالى :

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى آللهِ رِزْقُهَا ﴾[1] .

فرجع ولم يكلم النبي ﷺ وقال « ليس الأشعريون بأهون على الله من الدواب » .

هذه شواهد ثابتة ، وآثار صحيحة واضحة ، تدل دلالة قاطعة ، أن الرزق من عند الله سبحانه مقدر مقسوم لا محالة ، ولكن على الرغم من هذا التوضيح الإلهي لضمان الرزق ، والتكفل به ، فقد زعم قوم من الناس ، أن تحديد النسل أو تنظيمه تبيحه الشريعة الإسلامية ، مستدلين على هذا الزعم الباطل ، بأدلة لا يصدق بجزء منها ، من كان في قلبه لله خشية ، أو في فكره تأمل ، أو في رأيه سداد ، أو في عقيدته تبصر وتوفيق .

---

(١) سورة هود (١١) آية (٦) .

ولكن والحق يقال : لقد أثلج صدري وأثار أعجابي مقال المسلم الغيور الأستاذ جمال بدوي ، الذي نشر بجريدة أخبار اليوم ، التي صدرت يوم السبت ٢٧ محرم سنة ١٤٠٣ هـ الموافق ١٣/١١/١٩٨٢ م تحت عنوان :

(ولا يزالون مختلفين : تحديد النسل حلال أم حرام ؟) .

أثلج صدري ، وأثار إعجابي حقا ، هذا المقال الموفق لما انطوى عليه ، من دقة البحث ، وعمق الفكر ، وإظهار الحق ، وصدق الكلمة ، والنقد الموضوعي البناء ، دون أن تأخذه في الحق لومة لائم ، أو خشية جاه وسلطان .

وانصافا للحق ، وتعميماً للفائدة نورد هذا المقال بنصه ، الذي قال فيه بالحرف الواحد :

منذ أيام طالعت مقالا لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق شيخ الأزهر يبارك فيه الدعوة إلى تنظيم النسل ، مستنداً في ذلك إلى آيات القرآن الكريم ، وأحاديث النبي ، واجتهادات الفقهاء المعتبرين ، وقلت لنفسي : إنه لأمر مفيد حقا ، أن يشارك شيخ الأزهر بالرأي في هذه القضية الحيوية ، فالدولة تدعو إلى تنظيم النسل ، والحد من

الانفجار السكاني ، والحفاظ على المستويات الاجتماعية ، من أن تنخفض نتيجة زيادة معدل السكان على معدل الموارد الاقتصادية .

ولكن قطاعا كبيراً من الناس لا يستجيب إلى هذه الدعوة لشبهة الحرام فيها ويأبى أن يلتزم بها ، إلا إذا كانت مستندة إلى جواز من الشرع الحنيف ، وليس هذا بالأمر الغريب على الفرد المسلم ، الذي يرجع إلى الدين في كل تصرفاته ويتساءل :

هل هذا الأمر مباح فأفعله . . . أم حرام فأتجنبه . . ؟

والمسلم في مسألة الحرام والحلال يلتزم بما يقوله رجل الدين وما يدلي به من إرشادات وفتاوى . .

ولكن : بعد أيام من قراءة مقال شيخ الأزهر ، كنت أتفحص المطبوعات مع باعة الصحف فوجدت بينها المجلد السابع من كتاب (الفتاوى الإسلامية) الذي تصدره وزارة الأوقاف ، والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، تحت إشراف أصحاب الفضيلة : شيخ الأزهر ، ووزير الأوقاف ، ومفتي الجمهورية ، وأمين المجلس الأعلى .

وفي الصفحة رقم ٢٥٤٦ قرأت فتوى حيرتني ، وأعتقد

أنهـا ستكون سبباً في حيـرة كثيـرين من المـواطنين ، الـذين يلتزمون بـأحكام الشــرع ، وهي فتوى لفضيلة المفتي الـراحل الشيخ حسن مأمون تحت عنوان (تحديد النسل خشية الفقر) يقول فيها بعد الديباجة :

(إن منـع النسل أو تحـديـده ، من الأعمـال التي تنـافي مقـاصد النكـاح ولهذا لا تبيحـه الشريعـة إلا عند الضـرورة ، وعند وجود عـذر يقتضيه ، كـالخوف على حيـاة الأم ونحوه ، وليس من الأعـذار خـوف الفقـر ، وكثـرة الأولاد ، أو تـزايـد السكـان ، لأن الله سبحانـه وتعالى تكفـل بالـرزق لكل كـائن حي)[1] .

---

(١) وبالرجوع إلى المصدر المذكور ، تبين أن الأستـاذ الفاضـل جمال بـدوي اكتفى بذكر جزء من فتوى فضيلة الإمام الأكبر الراحل شيخ الأزهر السـابق الشيـخ حسن مأمـون ، وتعميماً للفـائدة ، ووفـاء بعهد الأمـانة ، نـذكرهـا بنصها ، وهي كما يلي :

« إن من أهم مقـاصد الشـريعة الإسـلاميـة ، إيجـاد النسـل وبقـاء النـوع الإنسـان وحفظه ، ولـذلك شـرع الزواج للتنـاسـل وتحصين الـزوجين من الوقوع في الحرام ، وحث الرسول صلوات الله وسلامـه عليه على اختيـار الـزوجـات ـ المنجبـات لـلأولاد ، فقـد روى الإمـام أحمـد عن أنس أن النبي ﷺ كان يأمر بالباءة وينهى عن التبتل نهياً شديداً ، ويقول : « تزوجوا الودود الولود ، فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة » .

وروى أبو داود والنسائي عن معقل بن يسار قال : =

ومن علم أن مال الله غاد ورائح ، وأن مع العسر يسرا ، وأن الغني قد يصبح فقيراً معدما والفقير المعدم قد يصبح غنياً وافر الغنى ، لم يشك أن الغنى والفقر من العوارض التي تتبدل ، وبهذا علم الجواب عن السؤال وأن تحديد النسل

= جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : إني أصبت امرأة ذات حسب وجمال وأنها لا تلد فأتزوجها ؟ قال : لا .

ثم أتاه الثانية فنهاه ، ثم أتاه الثالثة ، فقال :

« تزوجوا الودود الولود ، فإني مكاثر بكم » .

كما شرع ما يحفظ النسل من تحريم الزنا ، والإجهاض ، ومنع النسل أو تحديده من الأعمال التي تنافي مقاصد النكاح ، ولهذا لا تبيحه الشريعة إلا عند الضرورة ، وعند وجود عذر يقتضيه ، كالخوف على حياة الأم ونحوه ، وليس من الأعذار خوف الفقر ، وكثرة الأولاد ، أو تزايد السكان ، لأن الله سبحانه وتعالى ، تكفل بالرزق لكل كائن حي ، حيث قال في كتابه الكريم :

﴿ وَفِي السَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ، فَوَرَبِّ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ سورة الذاريات (٥١) آية (٢٢ - ٢٣) .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ . سورة هود (١١) آية (٦) .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿ وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُم خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ . سورة الإسراء (١٧) آية (٣١) .

خوف الفقر غير جائز .

وفي الحديث : « استكثروا من أولادكم فإنكم لا تدرون بمن ترزقون » .

وهذا لا ينافي أن هناك ضرورات خاصة بالمرأة تجيز منع الحمل كما ذكرنا ، ولكل حالة حكمها الخاص اهـ .

ونعم القول ما قال، فضيلة الإمام الراحل أنشيخ حسن مأمون ، رحمه الله تعالى ، وأسكنه فسيح جناته ، فقد أرضى الله تعالى في فتواه وأنصف دينه فيما قال .

ونص الفتوى صريح في حرمة منع النسل أو تحديده ، إلا لضرورة قصوى، كالخوف على حياة الأم ،وهو استثناء يندرج تحت إطار القاعدة الشرعية (الضرورات تبيح المحظورات) ولا يدخل ضمن هذا الاستثناء : الخوف من الفقر وكثرة العيال ، أو تزايد السكان . .

كما يقول فضيلة الشيخ حسن مأمون :

ومن الواضح أنها تتعارض تماماً مع روح المقال الذي كتبه فضيلة الشيخ جاد الحق وبارك فيه الدعوة إلى تحديد النسل .

أنه أمر محير حقاً للمسلم الذي يهمه أمر الحلال

والحـرام ، ومن المؤكد أن كـلا العالمين الفـاضلين ، استنـد إلى أدلة شرعية صحيحة يعرفها الباحثون في أصول الفقه[1] ، والخـلاف بين المذاهب ، وهـو خـلاف هـدفـه التيسيـر على الناس ، والرحمة بهم ، ولكن كيف يتصرف المسلم ، الـذي لا يشغل نفسه بمسائل الخلاف ، وكل ما يريده ، أن يقول لـه الدين : هذا حلال . . وهذا حرام .

إنني أضع أمام علمائنا الأجلاء اقتراحاً ، بأن يعقد مجمع البحـوث الاسلاميـة[2] دورة خـاصـة للبحث في المعـامـلات الاسـلامية بصفـة عامـة ، ويحضره علمـاء الأزهر من مختلف

(١) غير أن ما ذكره فضيلة المفتي السابق ، والإمام الأكبر الراحل الشيخ حسن مأمون من أدلة شرعية دقيقة تفيـد صراحـة تحريم تحـديد النسـل وتنظيمـه تحريماً بـاتا بـلا إيهام ولا خفـاء . على عكس ما ذكـر فضيلة الشيخ جـاد الحق ، من تأويلات ، تحمل بين طياتهـا ما يخـالف رأي الدين ، ويـوهم خلاف الحقيقة .

(٢) وننبه الأستاذ جمال بدوي ان مجمع البحوث الاسـلامية ، سبق حسن ظن الأستاذ جمال بدوي ، وأعطى الرأي النهائي ـ وهو رأي الدين الاسـلامي ـ بتحـريم تحديـد النسل ، امـا أفتى بهذا فضيلة الشيـخ محمد أبـو زهـرة ، وفضيلة الشيخ فرج السنهوري ، وفضيلة الإمام الأكبر الراحـل الشيخ عبـد الحليم محمود . رحمهم الله تعالى ورضي عنهم .
انظر المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الاسلامية ، الذي انعقـد في المحرم سنة ١٣٨٥ هـ الموافق مايو سنة ١٩٦٥ م .
ص ٣٢ ، ٣٣ من القرارات بعنوان : « شؤون الأسرة والشباب » . =

المــذاهب ، بشـرط أن يتخففـوا من تـرجيـح مـذهب على مذهب ، وأن يكون رائـدهم التوصـل الى اجتهادات جمـاعية مبسطة تتوخى الخير العام ، ودفع الحرج ، وجلب المنفعـة ، ودرء المفسـدة ، والتيسيـر على عـامـة المسلمين ، ليس في مسألة تحـديد النسـل فحسب ، ولكن في كل مـا ينفع النـاس في معاشهم ومعادهم ، والله الموفق ا . هـ .

= ثالثاً : بشأن تحديد النسل . . .

يقرر المؤتمر ما يلي :

١ ـ ان الاسلام رغب في زيادة النسل وتكثيره ، لأن كثرة النسل تقوي الأمة الاسلامية اجتماعياً واقتصادياً وحربياً وتزيدها عزة ومنعة .

٢ ـ اذا كـانت هناك ضـرورة شخصية تحتم تنظيم النسـل ، فللزوجين ان يتصرفا طبقاً لما تقتضيه الضرورة وتقدير هـذه الضرورة متروك لضمير الفرد ودينه .

٣ ـ لا يصح شرعاً وضع قوانين تجبر الناس على تحديـد النسل بـأي وجه من الوجوه .

٤ ـ ان الاجهاض بقصد تحـديد النسـل أو استعمال الـوسائـل التي تؤدي الى العقم لهذا الغرض أمـر لا تجوز ممارسته شرعاً للزوجين أو لغيرهما ا . هـ .

هذا ما قرره مجمع البحوث الاسلامية (هيئة كبار العلماء سابقاً) ومن الواجب انه لا يصح لأحد ان يـرى في هذا المـوضوع رأيـاً غير هـذا ، خاصـة وان ما قـرره المجمع ، قرره بعد دراسة وتمحيص واجمـاع عليه من أعضـائه وهم من أفـاضل العلماء ديناً وخلقاً .

وقد نوقش الموضوع منـاقشة علنيـة ، ادلى فيه كـل عالم بـدلوه، وكـان نصب عينيه مراقبة الله تعالى ، وخشية الحق سبحانه . .

هـذا هو نص مـا ذكره الأستـاذ جمـال بـدوي في مقـالـه الرائع ، بمنـاسبة الـرد على ما ذكـره فضيلة الشيخ جـاد الحق شيخ الأزهر في مقاله الذي بارك فيه الدعوة إلى تحديد النسل على حد تعبير الأستاذ جمال بدوي .

أما بالنسبة لما ذكره فضيلة الشيخ ابراهيم الدسـوقي وزير الدولة للأوقاف في هذا الشأن أيضاً ، وما أدلى وصـرح به من حـديث أفاد في جملتـه ، أن فضيلته ، حـرم تحـديـد النسـل صراحة وقت ابتداء توليه منصب الوزارة، ثم عدل فضيلته عن هذا الحق ، وأباح تحـديد النسـل ، وأكد مشـروعية حله على جميع الشرائع ، فإننا نكتفي لتوضيح هذا بما جاء على لسـان جـريدة النـور في عددهـا الصادر يـوم الأربعـاء ٧ صفـر سنـة ١٤٠٣ هـ الموافق ١٩٨٢/١١/٢٤ بعنوان :

(مـا هذا يـا وزير الأوقـاف : تحديـد النسـل حـرام أم حلال ؟) .

وتقـديراً للغيـورين على دينهم ، وانصافـاً لأهـل الفضـل والحق ، نذكر مقال جريـدة النور بنصـه الذي يقـول بالحـرف الواحد :

(أعلن فضيلة الشيـخ إبـراهيم الـدسـوقي وزيـر الـدولـة

للأوقاف ، عقب توليه منصبه ، كوزير للأوقاف : أن تحديد النسل حرام ، وقد نشرت وسائل الاعلام هذا الرأي ، وقد قوبل هذا الرأي من كافة مستويات الشعب بالتأييد ، وكان تصريحه حديث رجل الشارع في المقاهي والمكاتب ، بل وحديث ربات البيوت أيضاً)[1] .

وقد أعلن وزير الأوقاف رأيه صراحة للسفير الامريكي بالقاهرة ، الذي ذهب الى وزير الأوقاف ، بهدف الحصول على تأييده في توجيه أئمة المساجد ، للدعاية لهذا المشروع ـ مشروع تحديد النسل ـ وقد رفض الشيخ إبراهيم الدسوقي ، مساعي السفير الامريكي وقال له :

(لا أوافق على تحديد النسل) .

وقد نشرت وسائل الأعلام هذا الرأي أيضاً وأبرزت له مساحة لائقة .

ولكن . . . وبعد عدة شهور من تولي وزير الأوقاف منصبه ، فوجىء الناس باعلان جديد لوزير الأوقاف يخالف تماماً ما سبق أن أعلنه ، بشأن تحديد النسل ، بل وقد نشرت

---

(١) وهذا يدل على أن الرغبة الأكيدة من عامة الشعب وخاصة الغيورين منهم على دينهم حرمة تحديد النسل دون نقاش ولا معارضة .

بعض الصحف المانشيت الرئيسي بها على لسان وزير الأوقاف وهو يخاطب الفلاحين قائلاً :

(أؤكد لكم أن تحديد النسل حلال) : . . . وحتى لا يلجأ الوزير الى الدفاع عن رأيه ، بقوله ان تنظيم النسل حلال ، وتحديد النسل حرام نقول له : ان ذلك مجرد تلاعب بالألفاظ .

وعلامة الاستفهام الحائرة الآن : هل تحديد النسل حلال، أم حرام يا فضيلة وزير الأوقاف ؟ ا . هـ .

هذا هو نص مقال جريدة النور بنصه ، الذي تناول بحقيقة صادقة ، تناقض وزير الأوقاف مع نفسه ، بل وتناول كذلك ، رد وزير الأوقاف بنفسه على نفسه .

والعبرة التي نستلهمها من مباركة فضيلة الشيخ جاد الحق شيخ الأزهر الدعوة إلى تحديد النسل ، ومن تضارب فضيلة وزير الأوقاف في أقواله ، ومن اتباع بعض العلماء للأهواء المغرضة كذلك : ان الفتنة في الدين نائمة ، فآثروا استيقاظها اعتزازاً بغير الله سبحانه ، الذي هو أحق بأن يعتز به ، حتى أفسدوا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً .

ولأجل أن نخفف الألم عن الأستاذ جمال بدوي ، وعن

الغيورين على دينهم من أسرة جريدة النور ، أذكرهم بواقعة صحيحة حدثت حقيقة وهي :

حدث عتيق بن يعقوب الزبيدي قال :

(قدم هارون الرشيد المدينة المنورة ، وكان قد بلغه أن الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه ، ألف كتاب الموطأ ، وأخذ يقرؤه على الناس ، فوجه إليه البرمكي وقال له : اقرئه السلام ، وقل له يحمل الي الكتاب ويقرؤه علي ، فأتى البرمكي الى الإمام مالك وأخبره بما يريد هارون الرشيد منه) .

فقال الإمام مالك للبرمكي : (إن العلم يؤتى إليه ولا يأتي لأحد) .

فرجع البرمكي الى هارون الرشيد فأخبره ، وكان عنده ابو يوسف القاضي فقال يا أمير المؤمنين :

يبلغ أهل العراق أنك وجهت البرمكي الى الإمام مالك في أمر فخالفك أعزم عليه .

فبينما هو كذلك اذ دخل الامام مالك ، فسلم وجلس .

فقال له هارون الرشيد : يا ابن أبي عامر ، أبعث اليك وتخالفني ؟

فقال الإمام مالك رضي الله عنه :

يـا أميـر المؤمنين ، حـرف واحـد بعث الله فيـه جبـريـل والمـلائكة عليهم السـلام من مسيـرة خمسين ألف عـام ، ألا ينبغي لي أن أعـزه وأجله ؟ وان الله تعالى رفعـك وجعلك في هذا الموضع بعلمك ، فلا تكن أنت أول من يضيع عـز العلم فيضيـع الله عـزك ، فـإن العلم عـزيــز فـلا تكن أنت أول من يذله .

فقام هارون الرشيد ، يمشي مع الإمام مالك الى منزله ، ليسمع منه كتاب الموطـأ ، فأجلسـه معه على المنصـة ، فلما أراد هـارون الرشيـد أن يقرأه على الامـام مالـك ، قال مـالك لهارون : تقرؤه علي .

فقـال هـارون الـرشيـد : يخـرج النـاس عني حتى أقـرأه عليك .

فقال الإمام مـالك رضي الله عنـه : إن العلم اذا منع من العامة لأجل الخاصة لم ينفع الله تعالى به الخاصة .

فلمـا بدأ الإمـام مالـك يقـرأه على هـارون قـال لهـارون الرشيد : يا أمير المؤمنين :

أدركت أهـل العلم ببلدنـا ، وا نهم ليحبــون التـواضــع

للعلم ، لأن الله تعالى يقول :

﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[1] .

انزل واجلس على الأرض ان طلبت العلم ، فنزل هارون عن المنصة ، وجلس على الأرض بين يدي الإمام مالك وسمعه منه رحمهما الله تعالى ا . هـ .

والذي نستنبطه من هذه الواقعة ونقف عليه من آثار عظيمة ، ومعاني انسانية راقية جليلة .

١ ـ ان هارون الرشيد لم يطلب دنيا ، وانما طلب العلم ، الذي من أخذه أخذ بحظ وافر ، ولكن على الرغم من هذا ، فإن تمسك الإمام مالك بهذا الموقف الجليل الفاضل ، انصافاً لفضل العلم وعزة العلماء ، ليكون كل عالم قدوة صالحة تليق بمكانة العلم وكرامة العلماء .

٢ ـ ان العلماء حينما كانوا على درجة المراقبة التامة لله سبحانه ، والخشية منه وحده دون سواه ، كانت تدين لهم الدنيا ، وتشرق بوجوههم شمس المعرفة ، ويضاء الكون

---

(١) سورة المجادلة (٥٨) آية (١١) .

بنور صلاحهم ويقينهم برضوان الله تعالى .

ولكن هانوا فهان بهم كل شيء ، وأرخصوا أنفسهم ، فتعست بهم الحياة ، وأذلوا العلم ، فضيع الله عزهم كما أشار الإمام مالك في فتواه .

مع اليقين الصادق أننا لم نطلب منهم ـ وهو المفروض ـ أن يكونوا على نمط الإمام مالك رضي الله عنه ، الذي ضرب لنا المثل الرائع في عزة العلماء ، وخشية الله تعالى دون احد سواه ، وانما نطلب ونطالب أن يكونوا على سنة الاقتداء بسيدنا رسول الله ﷺ ، لا تغرهم الدنيا ، ولا تفتنهم زخارفها ، ولا تلهيهم تجارتها ، حتى يكونوا على درجة الخشية الحقة لله تعالى ، والقرب منه سبحانه .

وصدق الله العظيم القائل :

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَاءُ﴾[١] .

وبعد : فعن عمر ، رضي الله عنه ، قال :

كنا عند رسول الله ، ﷺ ، مجتمعين وأنا أعرف الحزن في وجهه فقال : « إنا لله وإنا اليه راجعون » .

---

(١) سورة فاطر (٣٥) آية (٢٨) .

قلت : يا رسول الله : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ماذا قال ربنا ؟

قال : أتاني جبريل آنفاً فقال : « إنا لله وإنا إليه راجعون » .

قلت : أجل ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، فمم ذلك يا جبريل ؟

قال : ان أمتك مفتنة بعدك بقليل من الدهر غير كثير .

فقلت : فتنة كفر ، أو فتنة ضلال ؟

قال : كل ذلك سيكون . .

قلت : ومن أين يأتيهم ذلك وأنا تارك فيهم كتاب الله ؟

قال: بكتاب الله يضلون ، وأول ذلك من قبل قرائهم وأمرائهم ، يمنع الأمراء الناس حقوقهم . فلا يعطونها ، فيقتتلون ويتبع القراء أهواء الأمراء ، فيمدون في الغي ثم لا يقصرون .

قلت : يا جبريل ، فبم سلم من سلم منهم ؟

قال : بالكف والصبر ، ان اعطوا الذي لهم أخذوه ، وان منعوه تركوه »[1] .

---

(١) أخرجه الحكيم الترمذي ، وابن أبي عاصم في السنة، والعسكري في المواعظ وأبو نعيم في الحلية ، والديلمي في الفردوس .

وصـدق سيدنـا رسول الله ﷺ ، فـالنـاس اليـوم زين لهم الشيـطان سوء أعمـالهم ، وابتعدوا عن هـدى نبيهم ، دون ان يتدارك احد منهم : ان من مقـدرو الله سبحانـه ـ فوق مـا نزل بهم أن يخسف الله بهم الأرض أو يسقط عليـهم كـسفـا مـن السماء .

﴿أَفَلَمْ يَـرَوْا إِلَىٰ مَـا بَيْنَ أَيْـدِيهِمْ وَمَـا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَـاءِ وَالأَرْضِ ، إِن نَّشَـأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ ، أَوْ نُسْقِطْ عَـلَيْهِـمْ كِسَفاً مِّنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾[1] .

ومن أخـذ الله تعالى لنـا، وانتقامـه منـا ، أن سلط علينـا بذنوبنا من لا يخافه ولا يرحمنا .

فتكالبت علينا دول الغدر والبغي ، وتألبت بـلاد الطغيـان والـظلم ، كل يـريد القضـاء علينا ، والتخلص منـا، وابتلانـا الله ـ والعياذ به وحده ـ بحشرات الأرض تخـرج من الأرض ، وتنزل من السماء ، وكأنها صواعق محرقة ، فأهلكت مـزارعنا وأتلفت محـاصيلنـا[2] ، وجعلنـا الله في ضيق وفقـر ، وبؤس

---

(١) سورة سبأ (٣٤) آية (٩) .

(٢) جاء بجريدة أخبار الجمعة ١٩٨٣/١/١٤ م ـ ١ ـ ربيع الثـاني سنة ١٤٠٣ هـ « الفئران في بنجلاديش تلتهم قمحاً قيمته ١٠ ملايين دولاراً » .
قـامت حكومـة بنجلاديش بـاعداد خـطة للتخلص من الفئران التي تـتزايد=

وهم ، وشقاء وحزن ، وما ظلمنا الله ، ولكن الناس بمعاصيهم ، أنفسهم يظلمون .

فما أصابنا ما أصابنا الا بكثرة ذنوبنا وسوء أعمالنا ، وما ابتلينا الا بشدة انحرافنا وضلال قلوبنا ، وما قصمنا بجبرنا الا بعد أن امهلنا أدهاراً طويلة . . ولئن أمهل الله الظالم ، فلن يفوت أخذه ، وهو له بالمرصاد على مجاز طريقه ، وموضع الشجي من مساغ ريقه ، ومحل القذى من عيونه .

فلو أن الله تعالى ، أذن للجبال أن تدك ، وللأرض أن تبدل ، وللسماء أن تقع ، وللشمس أن تطمس وللجبار ان يأتي بالعذاب على الذين لم يأن لهم أن تخشع قلوبهم للاستقامة لكان منه عدلاً .

ولو أنه تعالى ، أصاب الناس اليوم بما أصاب به الأمم

= بصورة هائلة في حقول القمح .

وقال المسؤولون : إن هذه الفئران التهمت ما قيمته ١٠ ملايين دولار من القمح وتقضي الخطة الجديدة بتعليم الفلاحين كيفية قتل الفئران بالاضافة الى توزيع عبوات من الكعك المخلوط بفوسفات الزنك لاستخدامها في قتل الفئران » ا . هـ .

[ومثل هذا البلاء حدث في بلاد مصر كما نشر من قبل بجرائدنا اليومية] ، وصدق الله العظيم القائل :

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ .

من قبل ، أو أخذهم بما اكتسبوا ، ولم يترك على ظهر البسيطة من دابة يستعين بها الإنسان في مهام حياته ، أو نعمة يسخرها في قضاء مصالحه ، لكان ذلك كذلك من محض عدله ، ولكن سبقت رحمته ، فكان من عظيم عفوه .

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ ، وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[١] .

نعم إن الدنيا ازينت لأهل الأهواء والشهوات ، فغرتهم حتى صاروا يرتعون في ملذاتها دون تدبر ، ويطيشون في نعيمها دون تعقل ، وازخرفت لهم إلى أن أعمتهم عن النظر في الدليل ، وصرفتهم عن الاعتبار ، حتى انحطت فيهم الأخلاق ، وانعكست الآيات ، وانقلبت الأوضاع ، وضاعت الحقائق ، وفسدت العقائد ، وآثر الناس الشر ، على ما فيه من قبح على الخير بما فيه من فضائل ، وأصبحت الأديان العظمى فريسة المتمردين ، ولعبة المجرمين ، وفتنة المنافقين .

بل إنها أصبحت مهداً للحضارة المزيفة ، والمدنية المنحرفة ، ومصدراً للثقافة الخادعة ، ومسرحاً للفوضى

---

(١) سورة فاطر (٣٥) آية (٤٥) .

والانحلال ، وقاعدة للجبابرة الكهان ، ومحوراً للجدل والخصام ، ووسيلة لترقي المناصب وعظم الجاه .

إنهم ضلوا ، حتى فقدت الأديان عندهم روحها ، وتغير شكلها ، واختلفت معالمها ، وضلت طرقها وتحيرت بين متاهات الجبن والضلال غايتها ، حتى لو بعث رسلها الأولون اليوم لم يعرفوها .

إنهم ضلوا : حتى فقد العالم اليوم معالم الدين ، وتحير أمره بين الشك واليقين ، لا يستطيع أن يحمل للعالم رسالة صافية ، ولا للأمم دعوة سامية .

لا يملك من الدين السماوي شرعاً صافياً ، ولا من النظام البشري حكماً قوياً حتى ذهبت بالناس المذاهب ، وتاهت بهم الغياهب ، وخدعتهم الكواذب ، فصاروا كأنهم اشباح بلا أرواح ، وأرواح بلا أشباح ، وفساك بلا صلاح ، وتجار بلا ارباح وأيقاظ نوم ، وشهود غيب ، وناظرة عمياء ، وسامعة صماء ، وناطقة بكماء ، أخذ الباطل منهم مآخذه ، وركب الجهل فيهم مراكبه .

هذا هو واقع الناس اليوم الذي ينبغي أن يسائل كل منا نفسه ، لعله يدرك فيستعب ، أو يتوب فيستغفر .

زعم باطل وافتراء مختلق

إن الله سبحانه وتعالى ، قد اختتم الاسلام برسالة سيدنا محمد ﷺ ، فلا يحق لمسلم أن ينتظر بعد هذا اتصالاً جديداً من السماء بالأرض ، ولا نبياً آخر بعد رسول الله ﷺ ، يخرج الناس من الظلمات إلى النور، ولا كتاباً آخر بعد كتاب الله سبحانه يهدي الانسانية إلى سبيل الرشاد والسعادة .

﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾[1] .

فالله تبارك وتعالى ترك فينا كتاباً لن يضل من بعده من اتبعه، وشريعة لن يشقى من عمل بها لميعاده .

والمتأمل في كتاب الله ، والمتبصر بقلبه في شريعة السماء ، دون غرض ولا هوى ، لن يجد دليلاً قاطعاً يقول

(١) سورة الاسراء (١٧) آية (٩) .

بتحديد النسل وتنظيمه ، اللهم إلا ما يزعمه هؤلاء المتشدقون بالمفتريات الكاذبة ، التي طالما اختلقوها اختلاقاً ، كاد أن يقضي على الفئة القليلة ، التي لا زال الايمان مغلغلاً في قلوبها ، ويجري مع الدم حيث جرى في انعروق .

انهم يقولون زعماً : إن تحديد النسل ضرورة لصلاح الفرد والمجتمع وهو العلاج الوحيد القاتل لداء الفقر ، الجالب لسبب السعادة والرزق ، ثم يستدلون على زعمهم هذا بتأويل بعض نصوص من الكتاب والسنة ، تأويلاً يوهم ظاهره التأييد لقولهم فيما زعموا .

انهم يقولون زوراً لا أصل له ، ويختلقون بهتاناً لا حقيقة لصحته ، ويدعون أن رسول الله ﷺ قال :

« جهد البلاء كثرة العيال مع قلة الشيء » .

نسبوا لسيدنا رسول الله ﷺ ، هذا الفحش من القول وهذا الباطل من البهتان ، وهم لا يعلمون أن هذا الكلام ليس من كلام سيد البشر صلوات الله وسلامه عليه ، ولا من أحاديث سنته الشريفة أصلاً، وانما هو من وضع داود بن المحبر ، وداود بن المحبر مختلق كذاب ، اتفق رجال الحديث على تكذيبه وقالوا :

ليس بأهل لأن يروى عنه ، فإنه مفتري مولد على رسول الله ﷺ

ومن أراد أن يعرف حقيقة هذا فليرجع الى كتاب « الذرية الطاهرة » تأليف أبو بشير محمد بن أحمد الدولابي المتوفى سنة ٣٢٠ هـ جـ ١ ص ٣٦١ وتعليق ملا القاري . على مسند داود بن المحبر نفسه . ليدرك بوضوح واضح ، ما ذكره وأثبته أهل الحديث ، عن كذب داود بن المحبر ، وليعلم كذلك افتراء قول :

(جهد البلاء كثرة العيال مع قلة الشيء) .

وتوضيحاً للحقيقة نقول: إن تحديد النسل لم يثبت بحجة شرعية ، ولا بدليل اسلامي يعتد به، بل ان القرآن الكريم لم يقل به لا تصريحاً ولا تلميحاً ، وسيدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، لم يفعله ولم يأمر به ، ولم يقر أحداً عليه ، وكذلك شأن الصحابة والتابعين ، واتباع التابعين ، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

---

(١) وهذا النص ورد في تاريخ الحاكم دون تعليق عليه ، كما أورده السيوطي عن ابن عمر في الجامع الصغير وسكت عنه كما سكت عنه أيضاً المناوي في فيض القدير . وبالبحث والتنقيب عن تحقيق هذا النص تبين أنه من وضع داود بن المحبر كما ذكر صاحب كتاب « الذرية الطاهرة ، وعلى ملا القارىء في تعليقه على مسند داود بن المحبر .

أما ما ورد من حديث يفيد ظاهره اباحة العزل ، فعلى الرغم من تخصيصه في حق الاماء دون الأحرار ، وكان ذلك أيضاً في مناسبة خاصة ، فإنه يكفي للنهي عن العزل القول في الخبر الوارد :

(انه الوأد الخفي) .

والتعبير عن العزل بأنه الوأد الخفي يفيد النسخ لقول الصحابة رضوان الله عليهم : (كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ ولم ينهنا) فلو كان أمر العزل الأصل فيه الاباحة على وجه العموم ، لما كان للقول بأنه الوأد الخفي فائدة تذكر ، ولا يقال به أصلاً ، والقول بتحديد النسل لا يستدل له بحديث العزل أبداً ، كما أنه ليس له دليل شرعي يؤيده .

اللهم إلا اذا كان لعذر شرعي ، كمرض الزوجة ، والاضرار البالغ بصحتها ونحوه ، بشرط أن يكون ذلك منوطاً بالضمانات التي تحفظ العقيدة ، وتصونها من القول خشية الاملاق والفقر .

غير أن الامام الغزالي رحمه الله تعالى ورضي عنه ، توسع في اقامة العذر لتحديد النسل اذا خشي ان يفوت الحمل على الزوجة جمالها ونضرتها ، خشية أن يؤدي ذلك

الى هجرانها ، والرغبة في الزواج عليها من غيرها .

وهذا توسع لم يقل بـه غيره من جمهـور الفقهاء ، فينبغي أن يتـرك سداً للزيعـة، خاصـة وأن هذا الـرأي مشروط بعـدم خشية الاملاق والفقر .

أما القول بتحديد النسل بلا عذر من هذه الاعذار ، فإنما هـو بحق فكرة استعمـاريـة محضـة ، تحضـرت بهـا البـلاد ، وأصيب بها العباد ، منذ أن وضع الاستعمار بذرتهـا الخبيثة ، ودس في مجتمعنـا الاسلامي أصـابعـه الصفـراء ، ونفث فينـا سمـومـه ، حتى استحـوز على قلوب بعض العلمـاء ، وأهـل الاهواء ، وأغراهـم بطغيان أمواله ، قـاصداً من ذلـك ، تلويث الاسـلام ، والقضاء على اسـره وابنائـه ، والاسـلام من ذلـك براء .

ويعجبني مـا جـاء على لســان أحــد المستشــرقيـن الفرنسيين :

(لقـد مرت الأيـام القريبـة ، من أعوامنـا السالفـة ، وفي طيـاتها احتفـاظ تاريخي ثابت، يشير الى ان تحـديد النسـل، ليس هو مشكلتنا الاجتماعية ، وليس هو من الدين الاسـلامي بشيء ، انه فكرة استعمارية ابتكرها الطغاة الأذلاء ، فلا سبيل

لنا بالبحث عنها ، في مجتمعنا الاسلامي ، بل إن السبيل الذي يحتم علينا البحث عنه ، أن نلفت النظر الى ما هو أمامنا يقود الفقراء ، بالجد في العمل ، والكفاح في السعي ، وان نلفت النظر كذلك الى التدبير في السعي في أرض الله الواسعة الفضاء) :

﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوْا فِيْهَا﴾[1] .

والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً﴾[2] ا . هـ .

هذا ما ذكره المستشرق الفرنسي ، وعليه نقول :

ان الضرورة اللازمة التي يستقيم بها الفرد والمجتمع ، وتفتح على الانسانية ابواب الخير والسعادة ، هي :

القيام من العجز والكسل ، والتنبيه من الركود والفشل ، والنهوض من البطالة والفاقة ، الى الجد والاجتهاد في العمل ، لتحصيل الخير وجلب الرزق :

---

(١) سورة النساء (٤) آية (٩٧) .

(٢) سورة النساء (٤) آية (١٠٠) .

أخرج الامام البخاري في صحيحه عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :

« لأن يأخذ أحدكم حبله ، ثم يأتي الجبل بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها ، فيكف الله بها وجهه ، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » .

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده أن النبي ﷺ ، كان جالساً مع أصحابه ، ذات يوم ، فنظروا الى شاب ذي جلد وقوة ، قد بكر ويسعى ، فقالوا :

(ويح هذا لو كان شبابه وجلده في سبيل الله) ؟ فقال رسول الله ﷺ :

« لا تقولوا هذا ، فإنه إن كان خرج يسعى على ولده ، صغاراً ، فهو في سبيل الله » .

وان كان خرج يسعى على أبويه شيخين كبيرين ، فهو في سبيل الله .

وان كان خرج يسعى على نفسه ليعفها ، فهو في سبيل الله .

وان كان خرج رياء ومفاخرة ، فهو في سبيل الشيطان » .

هـذا الطريق الـواضـح ، هـو طـريق الجـد في السعي ، والسير في مناكب الأرض المذللة ، خاصة وان مجتمعنا الذي نعيش فيه هو أخصب بقاع الأرض تربـة ، وأغناهـا بالخيـرات واحفلهـا بالمعـادن والنعيم ، وأعـظمهـا سيـطرة على ممـرات التجارة والصناعة فهو يقـع في داخل الـدائرة التي يعيش فيهـا المسلمون كثرة ساحقة ولو تقدمت هذه الكثرة بجدها ونشاطها واخـلاصها الى هـذا العمـل المـوفـور لكـان في ذلـك الخيـر العميم، الذي يسود البلاد والعباد ، حتى يصل بالانسـانية الى بر الطمأنينة والسلام .

الإسلام كفاح دائب وتسليم مطلق

الإسلام دين عمل متواصل ، وكفاح طويل ، وليس هو كشريعة تهمل امر الأرض ، وتترك كنوزها دفينة لا ينتفع بها أحد من الناس ، ولا تترك أتباعها هملاً لا يصلحون، بل هو دين حريص على أن لا يقبل إلا ما كان طيباً، وما جاء عن طريقه المشروع .

وصاحب الدعوة الإسلامية الكبرى ، صلوات الله وسلامه عليه ، كثيراً ما كان يحث على الجد في العمل، والأجتهاد فيه ، بل انه ﷺ احترف العمل بنفسه ، وزاوله في حياته، وعلى ضوء ذلك الأمر كان إخوانه من الأنبياء السابقين، فقد كانوا على درجة كبيرة ملحوظة، من النشاط في ميادين الأعمال الجادة المشروعة .

ونبوغ المسلمين الاقتصادي ، هو الذي عكّر على اليهود صفو استقرارهم بالمدينة ، وجعل الأسواق تفيض بعزمهم

وخبرتهم، وكذلك كان الأنبياء: أصحاب حرف يرتزقون منها ، حتى كان فيهم النجار والحداد والبناء ، وعلى هذا الشأن كان الكثير من الصحابة الأجلاء ، الذين حملوا شريعة رسول الله ﷺ ، وبلغوا رسالته .

فلو أن إنساناً أخذ ينحني على فأسه ، ليخط بها سطور الحياة في حلقه وفي مكانه من أرض الله الواسعة التي يعمرها، لكان هو بنفسه قريب من فطرة الأنبياء ، وادنى بنفسه إلى رعاية السماء ، وأعرف برسالته نحو الحياة التي سخرها الله تعالى له .

ان الإسلام يحملنا صفوفاً كثيرة من تكاليف الخدمات الاجتماعية ، التي تقدمها للعالم ، لنمثل بحق عقيدة التوجيه السليم، ونعرض على الناس مبدأ الايمان بالله واليوم الآخر ، ويستحيل أن نحقق هذا الهدف الرفيع إلا بعد فهم رسالتنا ، فإذا فهمنا رسالتنا ، فمن المستحيل أن تسد لنا يد مع ضآلة انتاجنا ، وقلة ثروتنا ، بل ستظل ابواب الثراء موصودة أمامنا حتى نطرقها بأيدينا، لأن الإسلام لا يتصور فارغ النفس من العمل، ولا يقبل أن تدين به أمة مغلوبة على أمرها ، فرسالته الضخمة لا يطيقها إلا الأقوياء، ولا يحملها إلا العاملون .

لهذا أمر الله عز وجل في قرآنه الكريم ، بالبحث على

الرزق تارة ، وبالضرب في الأرض جرياً وراء طلبه تارة أخرى ، مع صدق النية ، واخلاص العزيمة وحسن التوكل عليه تعالى ، في كل ما يجد وما يدع، يقول سبحانه :

﴿ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ ، فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ، وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾[1] .

وقال تعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمْ ٱلإرضَ ذَلُولاً فَٱمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾[2] .

وليس هذا فحسب ، بل إن الإسلام في عمومه الشامل، وفي شموله المطلق أوجب على العبد أن يعتقد اعتقاداً جازماً ، أن الله وحده هو المتكفل بالمرزوق ، والضامن له ، يقول سبحانه :

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُها وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَها كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[3] .

---

(١) سورة يس (٣٦) آية (٧٢ ـ ٧٣) .
(٢) سورة الملك (٦٧) آية (١٥).
(٣) سورة هود (١١) آية (٦).

والدابة : اسم لكل حيوان ، لأن الدابة اسم مأخوذ من الدبيب وأطلق على كل حيوان ذي روح ذكراً أو أنثى .

والمراد بهذا اللفظ في هذه الآية الموضوع الأصلي اللغوي : فيدخل فيه جميع الحيوانات، وهذا متفق عليه بين المفسرين .

ولا شك أن أقسام الحيوانات وأنواعها كثيرة ، وهي الأجناس التي تكون في البر والبحر والجبال، والله تبارك وتعالى يحصيها دون غيره ، وهو تعالى عالم بكيفية طبائعها واعضائها واحوالها واغذيتها ومساكنها ، وما يوافقها وما يخالفها .

فالإلّه الحق المدبر لأطباق السموات والأرضين ، وطبائع الحيوانات والنبات كيف لا يكون عالماً بأحوالها ؟ .

ذكر الفخر الرازي بسنده أن موسى عليه السلام ، عند نزول الوحي اليه تعلق قلبه بأحوال أهله ، فأمره الله تعالى ، أن يضرب بعصاه على صخرة فانشقت وخرجت صخرة ثانية ، ثم ضرب بعصاه عليها ، فانشقت وخرجت صخرة ثالثة ثم ضربها بعصاه ، فانشقت فخرجت منها دودة كالذرة وفي فمها شيء يجري مجرى الغذاء لها ، ورفع الله الحجاب عن سمع

موسى عليه السلام، فسمع الدودة تقول :

« سبحان من يراني، ويسمع كلامي، ويعرف مكاني، ويذكرني ولا ينساني » .

وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَاءِ ، هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ، لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1] .

وما دام فضل الله هو المتكفل ، والعبد بسعيه وعجزه هو المتوكل، فلا مجال للقول بتحديد النسل أبداً، يقول سيدنا رسول الله ﷺ :

« إن روح القدس نفث في روعي : لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها ، فإن رزق الله لن يجره حرص حريص ، ولن يرده كره كاره ، إلا فاتقوا الله واجملوا في الطلب » .

ويقول صلوات الله وسلامه عليه ، فيما أخرجه البيهقي ، والترمذي ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

---

(١) سورة آل عمران (٣) آية (٥ ـ ٦).

(لا يستبطئن أحد منكم رزقه ، فإن جبريل عليه السلام، ألقي في روعي أن أحداً منكم لن يخرج من الدنيا، حتى يستكمل رزقه ، فاتقوا الله أيها الناس واجملوا في الطلب) .

وفيما أخرجه الطبراني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ :

«لو فر أحدكم من رزقه لأدركه كما يدركه الموت » .

هذا كله فيما يتعلق بشأن الرزق ، والتكفل الإلٓهي بضمانه لخلقه ، وحث الخلق على السعي في كسبه وتحصيله من طرقه المشروعة، وهذا شيء .

شبهة مردودة

وشيء آخر يستوجب الافصاح عنه ، والرد عليه ، وهو قول من زعم صحة التحديد بقوله :

ان تحديد النسل باتخاذ وسائل المنع وما يشبه ذلك من بدأ الأمر لا يعتبر في حد ذاته من أنواع الأولاد ، الذي نهى الله تعالى عنه في قرآنه، وسنة رسوله ، فإن التعرض لمجرد النطفة ، او التعرض لمنعها بسبب من الأسباب أو بوسيلة من الوسائل، لا يعد قتلاً ، والنصوص الواردة في النهي عن القتل غير شاملة للتعرض للنطفة .

وهذا خطأ بيِّن واضح ، خاصة وان علماء الطب قاطبة، اتفقوا على أن النطفة : حيوان منوي ، وهذا الحيوان المنوي يكون حياً تارة، ويكون ميتاً أخرى ، حسبما اثبته البحث العلمي ، وأقره الكشف الطبي الدقيق .

وبما أن هذا ثابت بدقة البحث العلمي ، فلا يجوز لانسان

الاعتداء على هذا الحيوان، خاصة وان الموت والحياة الذي اثبتهما البحث العلمي لا يكونا الا لمن له روح ، ومن له روح لن يجوز الاعتداء عليه ، بل لابد من الرحمة به والتلطف عليه ، يقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه :

« والشاة أن رحمتها رحمك الله ».

ويقول ﷺ :

« دخلت امرأة النار في هرة حبستها ، لا هي أطعمتها وسقتها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض ».

فالاعتداء على أي كائن حي غير مشروع لا يقره الشرع ، ولا تبيحه العقيدة الإسلامية .

وإذا كان سيدنا رسول الله ﷺ ، يحث على الرحمة بالحيوان والرفق به، فلا يصح لانسان يعتدي على أي كائن حي، حتى ولو كان هذا الكائن هو النطفة التي مصيرها ان تؤول إلى النسل .

فالنهي عن القتل الوارد في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ . . ﴾ الخ شامل لا محالة بلا عناد ولا مكابرة للنهي عن قتل النطفة ، أو التعرض لها ، لأن النطفة أصل الانسان ، الذي يتكون منه ، ومبدأ تكوينه الذي ينشأ منه وعليه ، فالنطفة هي التي تؤول إلى النسل ، خاصة وأنها تشتمل

على الحيوان المنوي ، كما سبق أن أوضحنا، وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلاَلَةٍ مِّن طِينٍ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً، فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً ، فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحماً ، ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ ﴾[1].

وقال سبحانه : ﴿ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾[2].

وقال تعالى : ﴿ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ، مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ، يَخْرُجُ مَن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ، إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴾[3].

وقال سبحانه : ﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴾[4]

هذا وغيره من آيات الله الكثيرة ، يثبت ويؤكد: أن النطفة أساس الإنسان وأصل تكوينه ، وذلك هو الحق الثابت ، وما دام الأمر كذلك فلا يجوز قتل النطفة أو التعرض لها .

ذلك : أن النطفة ـ كما قلنا ـ أساس الإنسان، والإنسان

---

(١) سورة المؤمنون (٢٣) آية (١٢ ـ ١٤).

(٢) سورة العلق (٩٦) آية (٢).

(٣) سورة الطارق (٨٦) آية (٥ ـ ٨).

(٤) سورة عبس (٨٠) آية (١٨ ـ ١٩).

اساسه النطفة ، كما جاء في القرآن الكريم ، ذلك صراحة، وإذا كان ذلك هو حقيقة الإنسان الذي خلقه الله في نطفة ، فإن النطفة ـ وهي أصل الإنسان ـ ان كانت لا تؤول إلى النسل ، مع أن علم هذا خاص بالله تعالى وحده :

﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ، عَالِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾[1].

إذا كانت لا تؤول إلى النسل ، فما قيمة التعرض لقتلها أو لمنعها مع ان المقطوع بصحته أنه : لا يصح بذل الدواء لمن ليس به داء ؟ .

وإذا كانت تؤول إلى النسل ، وعلم هذا خاص بالله وحده أيضاً ، فلما التعرض لقتلها وقد نهانا الله عن ذلك ؟

وليس هذا فحسب : بل أن القرآن الكريم ، سمى الإنسان انساناً وهو من سلالة من طين، بدليل قوله : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِن طِينٍ﴾[2].

وسماه سبحانه كذلك انساناً منذ أن جعله نطفة في قرار مكين فقال :

---

(١) الرعد (١٣) آية (٨ ـ ٩).

(٢) سورة المؤمنون (٢٣) آية (١٢) .

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾[1].

فكيف يتأتى منا الانكار ونقول : إن الإنسان لا يكون انساناً الا بعد أن يكمل خلقه في بطن أمه ؟

مع أن الله تعالى بين ذلك ووضحه كما فصلنا ؟

فأي قيمة لرأي بشري بعد بيان الله تعالى ، في محكم كتابه ، بأن الإنسان انسان منذ أن كان سلالة من طين ، ثم جعله نطفة في قرار مكين ؟ .

وسيدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، يوضح ذلك ويؤكده ، فيما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن حذيفة بن أسيد الغفاري . . قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة، بعث الله إليها ملكاً فصورها ، وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها .

ثم قال: يا رب، أذكر أم أنثى ؟ .

فيقضي ربك ماشاء ، ويكتب الملك ثم يقول : يارب أجله ؟

فيقول ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد على أمر ولا ينقص » .

---

(١) سورة المؤمنون (٢٣) آية (١٣) .

وفيما أخرجه الإمام البخاري ، والإمام مسلم في صحيحيهما ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قال :

حدثنا رسول الله ﷺ، وهو الصادق المصدوق :

«أن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك ، فينفخ فيه الروح » يؤمر بأربع كلمات :

يكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد .

فوالله الذي لا إله غيره ، أن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها .

وأن أحدكم لعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها .

والاستدلال بهذا الحديث النبوي الشريف من وجهين :

الأول : قوله «أن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه، أربعين يوماً نطفة ».

فقد أثبت الحديث بهذه العبارة النبوية : أن النطفة هي : أصل الإنسان وأساس تكوينه .

الثاني : قوله «يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح» ويؤمر بأربع كلمات :

« يكتب رزقه وأجله . . » .

فقد أثبت الحديث تقديم كتابة الرزق ، على كتابة الأجل، وهذا واضح بأن الرزق إذا انقطع ، انقطع الأجل ، ولا يجوز أن يقدم كتابة الأجل على كتابة الرزق ، فإن ذلك لو حصل للزم وجود صاحب أجل بلا رزق ، وهذا مناف لوعد الله الصادق بقوله : ﴿**وفي السماء رزقكم وما توعدون**﴾.

فالوعد الإلهي في هذه الآية واضح ، بأن الرزق على الله ثابت مضمون ، لكل من كتب الله له الحياة ، لا يتخلف عنه لحظة وهذا هو سر تقديم كتابة الرزق على كتابة الأجل في الحديث .

وهذه لطائف دقيقة ، واشارات لطيفة ، لا يدركها إلا من شرح الله للإسلام صدره .

تناكحوا تكثروا

وهناك مسألة أخرى لها صلتها المباشرة بهذا الموضوع الذي نحن الآن بصدده وهي :

أن مفهوم تحديد النسل يفيد القلة التي تعارض الكثرة ، وهو الذي يعمل عليه جاهداً من يقول بالتحديد ، أو التنظيم ، كما هو واضح ومطلوب عندهم ، وهذا وحده يشكل خطورة خطيرة، لها من الأسباب الرئيسية المباشرة سببين : أحدهما : أن سيدنا رسول الله ﷺ ، يقول فيما رواه عبد الرزاق والبيهقي ، عن سعيد بن أبي هلال رضي الله عنه :

« تناكحوا تكثروا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة » .

وأخرج الإمام أحمد في مسنده، وابن حبان في صحيحه عن أنس رفعه ، وأخرج أيضاً أبو داود، والنسائي ، والبيهقي ، وغيرهم، عن معقل بن يسار رضي الله عنه مرفوعاً قال : قال رسول الله ﷺ :

« تزوجوا الودود الولود ، فاني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة » .

ففي هذا الحديث وضع رسول الله ﷺ بهذا القول الواضح المختصر مبدأ النسل وتكثيره ، فدعا إلى تكثير النسل والعمل له عند العزم على الزواج ، فعلى الخاطب أن يتحقق عن مخطوبته ويحرص على أن تجتمع فيها خلتان .

الأولى : الود ، والتحبب إلى الزوج حتى تكفيه وتقنعه ، وترضيه حتى يستغني بها عن النظر إلى النساء، ويقنع بما لديه .

الثانية : الولادة والمرأة إذا كانت ولوداً كانت سبباً في تمكن العلاقة الزوجية وبقاء النوع البشري ، وفضلاً عن كونه كذلك فله في الإسلام هدف اسمى وأبقى وهو مكاثرة رسول الله ﷺ بأمته الأنبياء يوم القيامة وكلما كثروا كان أكثر عبادة لله وطاعة له ، وتطبيقاً لتعاليمه .

يقول صاحب مختارات الأحاديث :

(والحديث يرغب في الزواج بمن يتأتى منها النسل ، لأنه المقصود وبه يتم عمران الدنيا) .

وسيدنا رسول الله ﷺ أمرنا الله سبحانه باتباعه فقال :

﴿قُلْ إن كُنتُم تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[1] .

وأمرنا سبحانه بطاعته فقال :

﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[2] .

وأمرنا بالاقتداء والتأسي به فقال :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيراً ﴾[3] .

وأمرنا كذلك بالاستجابة لأمره ﷺ فقال :

﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُم ﴾[4] .

فهل الأتباع لرسول الله ﷺ، وطاعته والاقتداء به والاستجابة له ، كما أمرنا الله تعالى يتحقق ذلك كله، بالعدول عن طاعته ﷺ ومخالفة أمره ؟ والله سبحانه وتعالى قد حذرنا عن مخالفة أمره بقوله :

---

(١) سورة آل عمران (٣) آية (٣١).

(٢) سورة النساء (٤) آية (٨٠).

(٣) سورة الاحزاب (٣٣) آية (٢١).

(٤) سورة الأنفال (٨) آية (٢٤).

﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

فما معنى : تكثروا كما جاء في الحديث ؟ وهل هناك كثرة بالتحديد ؟ وكيف تتحقق المباهاة بالكثرة التي طلبها منا سيدنا رسول الله ﷺ ، مع تحقق القلة التي يحرص عليها أهل التحديد ؟

إن لفظ الحديث واضح ، ومعناه ظاهر ، والحديث بلفظه ومعناه يفيد افادة تامة، تصريح الحث على الكثرة التي لا تتحقق إلا بعدم التحديد ، بل وبعدم القول به اطلاقاً، وطاعة سيدنا رسول الله ﷺ ، فرض عين في القرآن الذي أنزل الله سبحانه ، والاستجابة له ، ﷺ ، منجية من عذابه، فلا يحق لنا إلا اتباعه في كل ما أمر به، أو نهى عنه ، والاستجابة له ﷺ ، في كل ما دعانا إليه ، وأمرنا به :

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ ﴾[2].

إن القلة التي يعمل لها ، ويحرص على تحقيقها

---

(١) سورة النور (٢٤) آية (٦٣).

(٢) سورة الحشر (٥٩) آية (٧).

أصحاب القول بالتحديد فضلاً عن أنهـا تتنافى مـع توجيهـات سيدنا رسول الله ﷺ وهي مخالفة كذلـك لأوامره ، ﷺ، فـإن لها خطورة شديدة وضرر بالغ الأهمية ، فـإن الذي نـظر وينظر إلى ما نزل بنا في الحروب، من سفك للدماء، وطحن للعـدة والعتـاد ، واستشهاد الكثيـر من الرجـال والأبناء ، لعلم ويعلم يقينا أنا في حاجة ضرورية لكثرة النسل والانجاب، وليس هذا فحسب ، بـل أن الكثـرة السـاحقـة من الصنـاع والعمـال وأصحاب الأيدي العـاملة ، التي هاجـرت إلى الدول ، بحثـاً على طلب الـرزق ، وجـريـاً وراء كسب العيش، أدت إلى العجـز المشاهـد في الميزان الصنـاعي والتجاري خـاصـة ، والاقتصاد الدولي بوجه العموم عامة .

ومن أجـل هذا العجـز المشـاهـد في الميـزان الصنـاعي والتجاري والاقتصادي نحن في حاجة مـاسة إلى كثـرة الأيدي العاملة ، ونحن في ظروفنا الراهنة التي تتطلب كثرة الانتاج ، واقامة المصانع ، وتعميـر الصحارى، وزيـادة المنشآت وغيـر ذلـك ، ممـا هـو محتم علينـا من وسـائـل الانتـاج ، والتقـدم الحضاري والازدهار العمراني .

فضلاً عما لا بد لنا منه ، من الاستعداد والتـأهب لخوض ما يفرض علينا من معارك، إذا نشبت حروب، نضرع

إلى الله القوي العزيز أن يقينا شرها ، وأن يحفظ بلادنا من كيد اعدائها .

وإذا كان هذا هو الحق ، وهو المحتم علينا أن نعد العدة والعتاد له ، فكيف ننادي بتحديد النسل ، الذي هو عدو العدة والاستعداد ، بقلة النسل الذي يعمل جاهداً على تحقيقها بالتحديد، ان خطر التحديد بالقلة واضح ، والحرص على تحقيقه أخطر وأخطر، فلا بد من الرجوع عنه والانصراف عن فكرته الضارة الآثمة .

ثم بعد هذا بقي أن نقول :

أن الله تبارك وتعالى ، ذلل لنا الأرض ، وأسبغ علينا النعم الكثيرة فيها ، ولم يفرض على إنسان دون آخر، أو أمة دون أمة أخرى أن تبقي متقاعسة بين جدران مساكنها، وتحسب حسابها، أن الركون في بلد هو الأمر المفروض عليها بالإقامة فيها دون سواها من بلاد الله الكثيرة في أرض الله الواسعة الفضاء، لا .

إن من ضاق به العيش في بلد أو قطر فمن الواجب عليه أن يسعى بالهجرة إلى بلد أو قطر آخر ، ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ

وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ؟ ﴾[1] .

﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً ﴾[2] .

فكثرة النسل أو الانجاب لم يخلق الله ذلك لأجل أن يبقى الانسان في مصر وحدها دون أن يشق طريقه إلى بلد آخر . بل أرض الله واسعة ، والهجرة من أجل الرزق مشروعة .

---

(١) سورة النساء (٤) آية (٩٧) .
(٢) سورة النساء (٤) آية (١٠٠) .

حرص الدول الأخرى على زيادة الانجاب

ومما يلفت النظر ، ويثير الدهشة، اننا ونحن في دولة بلا شك مسلمة لو أمعنا النظر ، وصوبنا الفكر، إلى القانون الانجليزي لوجدناه لم يبح تحديد النسل ولم يقل به ، ولم يقر أحداً عليه .

ولم يكن هذا فحسب ، بل إن الكثير من دول العالم ، كانجلترا ، والمانيا وايطاليا ، التي تشتمل على خمس وخمسين ولاية ، كل هذه الدول، تعمل جاهدة في حرص حريص كغيرهم من الدول الأخرى ، على كثرة النسل وزيادة الانجاب، وعلى هذا فقد حرمت الاجهاض[1] ، ولم تقر

(١) يقول الإمام الغزالي رضي الله عنه في هذا الصدد في كتاب إحياء علوم الدين : «إن اسقاط الحمل جناية على موجود حاصل وله مراتب ، أول مراتب الوجود أن تقع النطفة في الرحم ، ويختلط بماء المرأة، وتستعد لقبول الحياة ، وافساد ذلك جناية، فإن صارت النطفة علقة كانت الجناية أفحش ، وان نفخت فيه الروح واستوت الخلقة ازدادت تفاحشاً وينتهي التفاحش في الجناية بعد الانفصال حياً » اهـ.

أحداً عليه حتى إن أهل هذه الدول، فكروا ودبـروا، وخلصت نتيجـة أفكارهم ، وانتهت تقـريـرات تـدبيـراتهم ، إلى زيـادة الانجاب وكثرة النسل ، عن طريق غيـر مشروع وهـو طريق : « طفل الأنابيب » كما هو واقع فعلاً ، وتـطالعنا بـذلك جـرائد بلادنا اليومية وغيرها ، من وقت لآخر .

جـاء في مجلة الأمة عـدد ربيع الآخـر سنـة ١٤٠٣ تحت عنـوان (طفل الأنبـوب والميراث)[١] للأستاذ مصطفى أحمـد الزرقا ، ما نصه : «ونـظرا لأن هذا الـوضوع » «طفـل الأنبوب والميـراث » اليـوم ذو حسـاسيـة شـديـدة، إذ أصبـح التلقيـح البشـري في أنـابيب الاختبـار يمـارس على نــطاق واسـع من العالم ، في مستشفيات كثيرة لمعالجة العقم ولأغراض أخرى متعـددة، وقد وصـل ذلـك إلى بعض البـلاد العـربيـة ، وقـد

(١) وقصـة هذا المقـال الذي كتبـه الأستاذ مصـطفى أحمد الـزرقا ، ان مجلة المسلمـون التي تصدر في لنـدن نشـرت في عـددهـا الصـادر في ١٨ ذي القعـدة سنة ١٤٠٢ هـ مقـالاً بعنوان (حـوار شامـل مع فضيلة الشيـخ عبـد اللطيف حمـزة ، مفتي الديـار المصريـة طرحت فيـه المجلة على فضيلتـه اسئلة حول عدد من قضايا الساعة وتلقت أجوبتها الشرعية منه ، وعلى حد تعبير الأستاذ مصطفى أحمد الزرقا: وكـان من جملتها سؤال متشعب عمـا سمي اليوم « طفل الأنبوب ».

وعلى ضوء هذا كتب الأستاذ مصطفى أحمد الزرقا هذا المقـال تناول فيـه الرد على ما رآه مخالفاً مما ذكر فضيلة الشيخ عبد اللطيف حمزة .

سمعت أيضاً في الأذاعة الاسرائيلية من أرض فلسطين المحتلة مقابلة مع طبيب من عهد قريب أن يمارس ذلك الآن في أحدى المستشفيات بنجاح نسبي ، وكثرت فيه الطلبات على المستشفى الذي يجريه .

ثم استطرد يقول :

[وختاما وبهذه المناسبة أقول : إن الحالات التي يجري فيها التلقيح الاصطناعي ، داخلياً في المرأة نفسها ، أو خارجياً في أنبوب الاختبار ، ثم تنقل وتزرع في رحم المرأة ، متعددة بلغت سبع حالات تمارس اليوم كلها في العالم الأجنبي ، في أوربا وأمريكا على أوسع نطاق] اهـ .

وما جاء على لسان مجلة الأمة عن طفل الأنبوب فإنه إن دل فإنما يدل على اهتمام الدول الأخرى بزيادة النسل والحرص على تحقيقه ، لا بمحاربته ، وأقوى شاهد على صحة هذا ما ذكرناه نقلا عن مجلة الأمة .

ومما يدهش العقول ، ويحير القلوب ، ويلفت النظر ، ويثير الحزن ، ويبعث الألم ، أن المجلة الأمريكية « نيوزويك » نشرت عام ١٩٨٠ عدداً كاملاً تضمن الاستفاضة الواسعة في الحديث ، عن خطر ازدياد نسبة الشيوخ على نسبة

الشباب وأنكرت سبب التقليل من الإنجاب ، كما أنكرت كذلك المعاشرات غير الشرعية وعللت انكارها لهذا : بأن في عام ٢٠٠٠ ألفين ميلادية ، ستصبح ٥٠ ٪ من سكان أمريكا شيوخا عجزة عن القيام بالعمل الجاد المثمر ، وبالتالي سيعاني المجتمع الأمريكي ، من عدم القدرة والقوة التي ينبغي أن تنبع من الشباب لتكون وسيلة دافعة إلى نجاح الحياة الاقتصادية ، خاصة وأنه لو قامت حروب واشتبكت معارك .

هذا هو موجز ما نشرته بصراحة تامة مجلة « نيوزويك » الأمريكية المشهورة ، وتطبيقاً لهذا المبدأ ، وانصافاً لتحقيقه ، ومراعاة للعمل به ، فإنه لن يوجد : لا في امريكا ، ولا في كندا ، ولا في أوربا الغربية ، مراكز ثابتة لتنظيم الأسرة .

وإذا كان هذا هو الحاصل فعلاً في هذه الدول ، حرصاً على كثرة النسل وحفاظاً على زيادة الانجاب ، ومراعاة لما يتوقع في هذه البلاد ، من احتمال قلة الأيدي العاملة ، التي يحدث بسبب ضعفها ، ضعف الانتاج وظهور العجز من الشيوخ ، وقلة عدد الشباب » .

فكيف بنا ونحن الأولى بهذا من هذه الدول ديناً وخلقاً ، بل وحاجة اجتماعية تستوجب ذلك منا ؟ خاصة ونحن والحمد

لله تعالى ، أصبحنا الآن في حاجة ماسة ، إلى تعمير صحراء سيناء الفسيحة الواسعة ، التي تحتاج وتحتاج إلى الكثير من الأيدي العاملة الماهرة ، في مختلف الخبرات التي يتطلبها العمل الدائب وتتحقق على جهدها وكثرة انتاجها الإستفادة الوفيرة ، بما وهبت به هذه الصحراء من عظيم الخيرات الدفينة بها .

إن هذا العمل وحده بحق ، يحتاج إلى كثرة الأيدي العاملة ، التي تشتمل على كثير من ذوي الخبرات المتعددة ، والجهد الشاق المتواصل ، الذي يبذل بصدق النية واخلاص العمل ، حتى نستطيع بحق الوصول إلى الثمرة المرجوة والفائدة المنتظرة .

إذا تحقق هذا أصبحنا بعون الله تعالى وتوفيقه ، محل رعاية السماء ، تمدنا بالعون ، وتمنحنا بالبركات والخيرات .

بقي أن نقول : اعترافاً بفضل أهل العلم ، وانصافاً لإدراك أصحاب الفكر ، أن بعض علماء العصر الذين لا يخشون في الحق إلا الله ، ولا يؤثرون عنه سواه ، نهجوا في حياتهم نهج صراط الذين أنعم الله عليهم ، حتى بنوا قواعد أقوالهم على أصول شرع ربهم ، وأحكموا أصول أقوالهم

بواضح الدلائل ، ولائح الشواهد .

لمّا بنوا أمرهم على هذه الأصول الثابتة الصحيحة ، في بيان وجه الحقيقة في موضوع تحديد النسل أو تنظيمه ، ناسب أن نذكر شيئاً من مقالاتهم التي نشروها ، لما لها من أهمية في توضيح ما كتبناه ، وتأييد ما ذكرناه .

ومن تأمل استرسال أدلتهم المقنعة التي طرحوها ، وتفهم صدق كلامهم ، وإسداء نصحهم ، وجد في مجموع أقاويلهم ، ومتفرقاتها ، ما يحقق الثقة الكاملة في كل ما ذكروه ، وأن هؤلاء لم يقصروا في تحقيق هذه المسائل ، ولم يعرجوا في الطلب على تقصير .

ومن مقالاتهم الموفقة التي آثرنا سردها تعميماً للفائدة :

١ ـ مقال فضيلة الشيخ صلاح أبو اسماعيل ، الذي نشر بجريدة النور بتاريخ ١٩٨٣/٣/٩ على صورة حوار أجراه مع فضيلته ، الأستاذ ممدوح خليل الولي ، وهو بالنص كما يلي :

تنظيم الأسرة بين علماء الدين وعلماء الإقتصاد :

فرضت مسألة تحديد النسل ، أو كما يسمونها ، تنظيم الأسرة ، نفسها على واقع كثير من بلاد العالم الإسلامي ،

بفعل أيدي خفية ، تفصح عن نفسها أحياناً للظهور بمظهر الحريص على رفع مستوى معيشة المسلمين ، وتلعب هذه الأيدي من خلف الستار معظم الوقت دافعة بعض المسلمين للقيام بالدور المرسوم لهم وبأساليب منظمة ومحددة تنطلي أغراضها على الكثيرين .

ترى ما حجم هذه المشكلة ؟ وماذا يقول المختصون عن أبعادها وخطرها ؟ ما رأي علماء الإسلام في هذا؟ وما رأي علماء الاقتصاد ؟ هل تحدد الدول الغربية والشيوعية مثلاً نسلها ؟ وماذا عن حملات الاعلام للدعوة لتحديد النسل أو تنظيم الأسرة ؟ إلى أي مدى ستحقق هذه الحملات أغراضها . . أم أن مآلها الفشل ؟

تحديد النسل فكرة صهيونية :

يقول الشيخ صلاح أبو إسماعيل عضو مجلس الشعب :

إن تنظيم الأسرة أو تحديد النسل : فكرة أمريكية ، صهيونية ، استعمارية ، شيوعية ، إلحادية ، دخيلة علينا كمسلمين .

فأمريكا التي تعطينا بغير حساب لتنظيم الأسرة ، تقرضنا بفوائد ربوية متفاقمة للمشروعات الأخرى .

والذين ينادون بتنظيم الأسرة ، يزعمون أنهم يبحثون عن الغنى ، ويهربون من الفقر ، ومفتاح الغنى كما أعلنه الله ، في الإيمان والتقوى ، وكما أعلن تعالى :

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾[1].

ومفتاح الفقر في الاعراض عن الإيمان والتقوى قال تعالى :

﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ .

ولو أننا درسنا القرآن بعناية لوجدنا صاحب الجنتين في سورة الكهف : أصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ، ويقول : يا ليتني لم أشرك بربي أحدا .

فربط الله بين تدمير الاقتصاد والادبار عن الاعتقاد الذي نادى به الإسلام .

وتحدثنا سورة القلم عن أصحاب الجنة الذين حبسوا

---

(١) سورة الأعراف (٧) آية (٩٦) .

الزكاة فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون .

فربط الله بين تدمير الاقتصاد والاعراض عن أركان الإسلام .

وحدثنا القرآن عن مجتمع سبأ بقوله تعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُواْ لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾[1] .

فأعرضوا . . إعراض السلطة التشريعية ، إعراض الأعلام ، إعراض السلطة التنفيذية التي تترك البار[2] وتحاكم الجزار إذا باع اللحم في غير الأيام المباحة قانونا .

فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتبهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور .

هذه أمثلة من كتاب الله والرزق ضمنه ربنا .

﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ

(١) سورة سبأ (٣٤) آية (١٥) .

(٢) هو دار الفسق واللهو واللعب والفجور .

مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ[1] ﴾ .

ولكننا انشغلنا بما ضمنه الله لنا وأعرضنا عما كلفنا به الله ، فوقعنا في المحظورات ، بأن رفعت الدولة علم التحديد أو التنظيم في الوقت الذي نقرأ فيه أن بابا روما يوجه نشرة إلى المسيحيين يقول فيها :

الإنسان هدية الله إلى الأرض ملعون من رفض هدية الله .

الشرع الإسلامي يدعو لتكثير سواعد الأمة :

وقد درس مجمع البحوث الإسلامية مسألة تنظيم الأسرة في مؤتمره السابع عام ١٩٧٢ وقرر فيها أن الإسلام يتطلع إلى الإكثار من النسل .

تناكحوا تناسلوا تكاثروا فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة .

وقرر أنه لا يجوز أن تتدخل الدولة في هذا الأمر ولا أن تجند له وسائل الإعلام .

كما قرر انه لا يجوز ذلك إلا إذا اتفق عليه الزوجان اتفاقاً ثنائياً، لأي سبب يريانه، كأن تكون الأم مريضة. أو أن

---

(١) سورة هود (١١) آية (٦) .

يتعارض الحمل مع حياتها ومع سلامتها، أو أنها تحمل حملاً متوالياً لا يمكن الرضيع من أن يتم الرضاعة .

الدول الغربية والشيوعية تشجع تزايد النسل بها :

ويؤكد الأستاذ حسين محمد يوسف في بحثه القيم أهداف الأسرة في الإسلام والتيارات المضادة يوضح موقف البابا بولس السادس وهو الزعيم الديني لأكثر من ٥٠٠ مليون كاثوليكي الذي قرن اسمه بالحملة المضادة لتحديد النسل، ويعلن :

أن استخدام وسائل تحديد النسل اثم، وإن مستخدميها آثمون .

ولن الرئيس الأمريكي الأسبق ايزنهاور عام ١٩٥٩ أن حكومته لن تفكر في تحديد النسل في أمريكا ما دام في البيت الأبيض .

وأكد الرئيس نيكسون عام ١٩٧٢ نفس الموقف من تحديد النسل في أمريكا، وزاد عليه بإعلانه أن الإجهاض لا يتفق مع الدين ولا مع تقاليد الحياة الغربية .

وفي موسكو أصدر مجلس السوفييت الأعلى قراراً

بـإهداء ميدالية فخر الأمومـة إلى الأمهـات المنجبـات كثيـراً من الأطفال.

اقتراح بوضع مركبات منع الحمل في غذاء الدول النامية:

ويكشف الأستاذ حسين يوسف المخطط الغـربي من وراء الدعوة إلى تحديد النسل، فيذكر أنه قد جاء بـالنشرة الأمـريكية للشؤون الخارجية ١٩٥٧ من أن الـدعوة إلى تحـديد النسـل في مصر وسوريا تخدم التوسع الصهيوني لإسرائيل.

وعقـدت هيئة اليـونسكو مؤتمـرها الثـالث عشر في سـان فرنسيسكو لبحث التضخم السكاني والحد منه في الدول النامية.

ومن المقترحات التي عرضت للبحث اقتراح الدكتور بول آرليش الأستـاذ بجامعـة ستانفـورد الأمريكيـة ويقضي بـوضـع مركبات منع الحمل في الغذاء المرسل إلى الدول النامية.

وفي نفس الـوقت أعلن الدكتـور لي دوبريـدج المستشـار العلم للرئيس الأمـريكي السابق نيكسـون في نفس المؤتمر، أن الولايات المتحدة تفكر في قطع معوناتها الاقتصـادية عن الـدول التي لا توقف تزايد سكانها.

وقال: إن استخدام مركبات منع الحمل في مياه الشرب والطعام قد يكون حلا لهذه المشكلة في الدول النامية.

غالبية الصحارى كانت مزروعة في عهد الرومان:

ويرد الأستاذ حسين يوسف على دعاوى المروجين لتنظيم الأسرة، أن مساحة الدول العربية ١٢ مليون كيلو متر مربع وسكانها حوالي ٢٥٠ مليونا في حين أن مواردها ومساحتها تستطيع استيعاب ضعف هذا العدد، وقد يقال أن قسماً كبيراً من أراضي الدول العربية مكون من صحارى، ولكننا نرد بأن قسماً غير يسير من الصحارى صالح للزراعة، وأن أكثر هذه الصحارى كان مزروعاً في عهد الرومان، وأن إسرائيل أثبتت فعلاً إمكان تحويل الكثير من أراضي الصحراء إلى أرض زراعية مثمرة أقيمت بها مستعمرات يعيش فيها ألوف المهاجرين اليهود.

ويحدد مصدر خطر الجاعة الذي يهدد العالم، بأن مصدره الدول الكبرى وليس الدول النامية، وحسب إحصاءات الأمم المتحدة عام ١٩٧١ تبين أن مائة دولة فقيرة تضم ثلثي سكان العالم لا يزيد نصيبها السنوي من الدخل العالمي عن ١٣٪ في حين أن الدول الغنية والتي تضم ثلث سكان العالم تنال ٨٧٪ من الدخل العالمي.

علماء الاقتصاد يؤكدون: السكان وعاء يعطي القوة العاملة:

وإذا كانت تلك هي آراء علماء الدين فما هي آراء علماء الإقتصاد؟

يبدأ الدكتور محمد خليل برعي أستاذ الإقتصاد بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية فيقول:

لو نظرنا للمجتمع المصري سنجد ظاهرتين نشكو من زيادة السكان مع المساحة المحدودة، وحجم المصانع الذي لم يزد كثيراً، والإنتاج السلعي الذي لا يتناسب مع الزيادة السكانية.

وفي نفس الوقت نعاني من قلة الأيدي العاملة وهذا وضع غريب، والمفروض أن السكان هو الوعاء الأساسي الذي يعطينا القوة العاملة فكيف أقول هناك شكوى من زيادة السكان، وخوف من البطالة، وفي نفس الوقت أشكو من قلة الأيدي العاملة في كل القطاعات.

في القطاع الصناعي ندرة في المهارات، وفي القطاع الزراعي نعاني من قلة الأيدي العاملة، وهذا معناه أننا نسي استخدام قوة العمل الموجودة في مصر.

فلا بد من حسن استغلال الموارد البشرية الموجودة لدينا، بحيث يمكننا هذا من توفير المهارات التي يحتاجها المجتمع المصري، وتحتاجها الأسواق العالمية وميزانية جهاز تنظيم الأسرة إذا وجهت لإنشاء معاهد تدريب مهني، سيتحول العدد الكبير من السكان إلى مهارات يمكن الاستفادة بها في الداخل أو الخارج.

٢٠٠ مليون فدان بالسودان تطلب أيدي عاملة:

ويتناول شريف حسن قاسم المدرس المساع بكلية الإدارة المسألة فيقول:

إن المورد البشري هو أهم مورد أعطاه الله لمصر، هذا المورد إذا أحسن تعليمه وتدريبه لأمكن حل مشكلة العمالة والصناع بالداخل والتصدير للخارج، والحصول على تحويلات أكبر من العملات والتي أصبحت تمثل مورداً أساسياً لمصر.

وإذا لاحظنا أن العمل الكوريين في الخليج لديهم خبرة أعلى من اليد العاملة المصرية هناك، إلا أن هؤلاء لا يندمجون في مجتمع الخليج فهم يقيمون في معسكرات أو سفن ولا ينفقون داخل المجتمع الخليجي، ولكن العمال المصريين يندمجون مع

مجتمع الخليج وينفقون جزءاً من دخولهم فيه، ومن هنا كان الإقبال عليهم هناك رغم خبرات بعضهم.

أيضاً السودان لديها ٢٠٠ مليون فدان صالحة للزراعة تحتاج للأيدي العاملة، وليبيا بها مساحات شاسعة.

ويحدد الدكتور أحمد الصفتي أستاذ الإقتصاد بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية مهمة جهاز تنظيم الأسرة حسب تصوره في ترشيد الناس في كيفية إنفاق دخلهم على أنماط الاستهلاك المختلفة وتوضح للأسرة أهمية التعليم وأهمية المحافظة على النظافة والصحة وعلى محو الأمية، أما عملية الدعاية الحالية فهو « تهريج » ولن يخفض النسل ويجب أن نوجه هذه الجهود والأموال إلى التنمية الحقيقية ونشر الوعي الثقافي.

الصين حالياً لا تجد من يشتري فائض طعامها:

ويطرح د. الصفتي رأيا جريئاً بقوله: لا يوجد في أي دولة في العالم مشكلة سكان وإنما هو قصور المجتمع عن التنمية الحقيقية، مصر كان عددها ٢,٥ مليون أثناء الحملة الفرنسية وكانت الأرض الزراعية ٦ ملايين فدان ورغم هذا كانت مصر تأكل القطط والكلاب ولم يكن هناك انتاج.

الصين كانت ألف مليون ولم تكن تجد ما تأكله، اليوم ألف ومائة مليون ولا تجد من يشتري منها الطعام الفائض لديها، فلا يوجد شي اسمه مشكلة سكانية وإنما توجد مشكلة استخدام هذه الثروة البشرية.

سلع الرفاهية الغربية تشتريها الأسر الصغيرة:

ويحدد د. الصفتي دوافع الغرب من وراء مساهمته في حملة تحديد النسل بمصر في أنهم يهمهم أن يصدروا منتجاتهم مثل العربات والفيديو والتليفزيون الملون وغر ذلك وهذه الأشياء لا تباع إلا إذا كان حجم الأسرة صغيرا « فسيذهبون للسينما » ويركبون عربية والرجل يرتدي أحدث الملابس المستوردة، والزوجة تصفف شعرها ويستطيع شراء الهامبورجر والماسجر والشامبرز والديبرز والمعلبات واللبن المجفف إلى غير ذلك » فمن مصلحتهم أن يقل السكان حتى نشتري هذه السلع الترفيهية التي ينتجونها والتي أصبح فيها كساد هناك.

ودليل ذلك أنهم كانوا من سبعين سنة يقولون لنا لا تحددوا النسل ، وإن دينكم الإسلامي ضد تحديد النسل ، لماذا لأنهم في ذلك الوقت كانت متطلباتهم مختلفة كانوا

يريدون موادا خاما ، وهذه المواد الخام تحتاج عمالة رخيصة وهذا يتطلب زيادة الأسرة .

ومن هنا مصلحتهم تدفعهم للقول إلى تحديد النسل حرام بهدف انتاج المواد الخام الرخيصة .

ويضيف قائلاً أما الآن لا يريدون المواد الخام ، هم يريدون أن يصرفوا انتاجهم ولن يستطيعوا تصريفه إلا إذا كان حجم الأسرة صغيراً ، فيقولون لنا حددوا النسل لأن هذا حلال وقرآنكم يقول هذا حلال ، وهذه مأساة هذا المجتمع حتى دينه يريد الخبراء الأجانب أن يفسروه له .

الخبير الأجنبي يقول السكان مشكلة نصدقه - السكان ليسوا مشكلة نصدقه ، دينكم يحدد النسل نصدقه ، دينكم لا يحدد النسل نصدقه ، والداء يأتي من معرفة الجهات الأجنبية بضعف الباحثين المحليين ، ومن هنا يلوحون لهم بالمبالغ الكبيرة في مقابل قيامهم بأبحاث تخدم أغراضهم ، فإذا طلبوا إثبات أن السكان مشكلة فسوف يثبتون لهم أن السكان مشكلة ، لأنهم لو لم يفعلوا فلن يحصلوا على المبالغ الكبيرة ، وهذه مأساة أن نترك مفكرينا في هذا الموقف ، ولا

بد من الدفاع عن الجامعة لحماية فكرنا وثقافتنا وتاريخنا وحضارتنا .

وبعد أن استعرضنا آراء علماء الدين وعلماء الإقتصاد ، أما آن الوقت للمسؤولين أن يتدبروا المشكلة السكانية برؤية جديدة تنبع من مصلحة بلدنا وتبصر نوايا الغرب من حماسه لتحديد النسل في بلادنا ونستلهم من ديننا المرشد في طريقنا نحو بناء مجتمع اسلامي » اهـ .

٢ ـ مقال السيد الدكتور محسن توفيق ، الذي نشر بجريدة الأهرام بتاريخ ١٩٨٠/٨/٥ م وهو بالنص كما يلي :

تحديد النسل ليس هو القضية :

ما زالت قضية تحديد النسل « والتي أثارها الدكتور محمد صبور قضية ساخنة تداولها على هذه الصفحة الكثير من العقول » .

أحياناً بالكلمة الهادئة والفكر المتمعن ، وأحياناً أخرى باستعراضات ذاتية للمعلومات والأرقام ، وبتعبيرات مبهمة أو عاطفة ، سارت بالناس إلى متاهات بعيدة لا تخدم الهدف بقدر ما تبعدنا عنه .

ودعـونـا نقـرر أن جميـع الأقـلام التي خـاضت في هـذا الموضوع ، هي أقلام وطنية ترنو في نهـاية الأمـر إلى أن ترى الوطن المصري ، وقـد خرج من ضـائقته وصـار مجتمعا ينعم بالرفاهية ، وهذا هو هدفنا جميعاً .

ودعونا نقول أننا جميعاً ـ على حد سواء ـ نتفق على تلك الاستـراتيجية ، ولكن من كتبـوا ـ وإن اختلفوا ـ فـإن خـلافهم على السياسة والتكتيـك الذي يمكن أن يصـل بالمجتمـع إلى ذلك الهدف المنشود . .

فمؤيدو تحديد النسل يرون في كل طفـل يولـد مجرد فم يلتهم ، ومقعـد في مدرسـة وأتـوبيس ، وسـريـر في مستشفى وشقة في عمارة ، أنه عبء جديد يلقى على مجتمع هو مرهق بالأصل .

ومعارضو تحديد النسل يرون في ذلـك الطفـل بعدا آخـر وهو أنه أيضاً عقل يفكر ويد تعمل وتنتج . .

وازعم أن القضية كما طـرحها الـدكتور صبـور ليست هي قضية تنظيم النسل ، أو تحديده ، وإنما قضية رفاهية المجتمع وأمنـه ومـدى اعتمـادهـا على زيـادة النسـل أو نقصـه ، ولكن الجميع أمسكوا بتلابيب تلك القضية العرضية ، التي تحـولت

إلى مشكلة الساعة فأشبعوها ، أما هدهدة وتأييدا ، وأما لكما وتفنيداً .

ومن ثم فإن نهجي الفكري أن ينبني أساسا على قضية تحديد النسل بمعناها الضيق ، لأنني اعتبرها مجرد جزء من كل ، فرع من شجرة ، طرف واحد لجسد حي لا يتمركز قلبه في أطرافه .

ودعونا نتساءل عن مغزى تلك الظاهرة ، هناك دول تضع في مخططاتها زيادة نسلها وتشجع على هذا بأقصى ما في جهدها ، بل وتهدف إلى معدلات أعلى من معدلاتنا التي نشكو منها ، وفي نفس الوقت فإن هناك دولاً أخرى تعمل عكس ذلك ، بينما مجموعة ثالثة تجد أن معدلات تزايد السكان بها لا تحتاج إلى تدخل من الدولة .

إذن فالمجتمعات الإنسانية تتباين فيما بينها تبعاً لظروفها ، وخطة تحديد النسل ليست خطة عالمية الانقاذ البشرية كما يحاول البعض أن يوهم بذلك .

وإذا كان الهدف لأي مجتمع هو الرفاهية والأمن ، فإن طريقه إلى ذلك لا بد وان يمر خلال قناة رئيسية تتوفر فيها الموارد ويحسن استغلالها .

والقضية بالنسبة لما يعرف بالدول المتخلفة أو النامية أنها ما زالت تتعثر في حساب الموارد ، فهي تعرف الأرض بمساحتها ، وتعرف الناس بعددهم ومعدلات تزايدهم ولكنها لا تستطيع حصر ثرواتها الطبيعية ، وإن حصرتها فهي لا تعرف كيفية استغلالها ، وهي كذلك لا تستطيع تنمية « الكيف » في مواردها البشرية .

ويشكل سكان هذه الدول ٧٥٪ من مجموع سكان العالم ويعيشون على ٢٠٪ من مجمل دخله ، والواقع أن هذه هي الأرقام المتداولة عالمياً ، أما الرقم الحقيقي لحجم الثروات البكر التي ما زالت مخزنة غير مستغلة تحت أقدام هؤلاء الـ ٧٥٪ المتخلفين فهو رقم دعي ، إن أقرب عدد صحيح يعبر عنه لم ولن يخرج إلى العلانية ، فهو سر تحتفظ به لنفسها أجهزة المخابرات في الدول الكبرى ، فلقد بدا الصراع الشرس على الموارد الطبيعية ومصادر الطاقة ، والدول الكبرى المسيطرة ليست بذلك البله الذي يدعوها إلى أن تلفت نظر هؤلاء المتخلفين أصحاب الثقل السكاني إلى ما تحوزه أرضهم من كنوز ، وهي كذلك لا تستطيع أن تظهر أمامهم مدى قلقها على نفسها بعد أن نضبت مواردها الطبيعية أو كادت .

المشكلة إذن ـ بالنسبة للدول المتخلفة ـ ليست مشكلة تزايد السكان وإنما عدم معرفة القيمة الحقيقية لذلك المورد البشري الثمين ، حيث تفشل في توظيفه لتنمية مواردها الطبيعية لتحقيق الرفاهية المنشودة ، وفي مقابل ذلك الفشل فإنها تدعى أن المشكلة هي في ذلك السيل الهائل من الأفواه والعاطلين ، ودعونا نذكر أنها ليست مشكلتنا وحدنا ، إنها مشكلة ٧٥٪ أيضاً من سكان ذلك العالم الذي نعيشه .

ولنتساءل سوياً . . لماذا تنمو تلك الشجرة البشرية ذلك النمو الهائل في مكان ما ، بينما يقل نموها في مكان آخر ؟ والأغرب من ذلك أن النمو العظيم لتلك الشجرة لا يتم إلا في أرض فقيرة معدمة ، وإذا كان لهذا النمو الهائل أن يؤتى بكل تلك الثمرات البشرية فلماذا تظل تلك الأرض فقيرة . .

الإجابة بسيطة للغاية : فحينما تبدأ تلك الشجرة في نموها لتنتج بشراً فإن موقف الأمم يتباين كل تجاه شجرته .

هناك من الدول من تعتني بتلك الشجرة وتغذيها وتتعهدها بالري والمخصبات فتخرج ثمارها البشرية بالغة قادرة على الحفاظ على الشجرة الأم قوية فتية . .

وهناك فريق آخر يقف فقط متأملاً تلك الشجرة العجيبة

التي لا تنقطع عن إنجاب البشر ، وهم في وقوفهم ينسون دورهم في العناية بشجرتهم التي أصبحت تعانى من الترهل ونقص الغذاء فتخرج ثمارها ضعيفة كليلة ، وكل ما يستطيع أن يفعلوه هو أن يقفوا بالميكروفونات حول شجرتهم ينصحون الفروع الجديدة » وهي كثيرة ـ في محالة من الشجرة لحفظ النوع ، ينصحونها بألا تنمو أو تثمر ، وهم يبذلون أقصى جهد لهم في الصراخ ـ من القلب وبمنتهى الصدق ـ بالنصح ، قاسين أن ذلك الجهد مكانه الأول كان ينبغي أن يوجه للعناية بتلك الشجرة .

وحتى لا نفقد الهدف . . فعلينا أن نعيد السؤال ، ما هو الطريق إلى مجتمع الرفاهية والأمن .

إنه الطريق الذي يسلكه مجتمع يعرف ما يريد ، يعرف موارده الطبيعية والبشرية، ويعرف كيف يستغلها وينميها ، ويعرف التوظيف الأمثل لكل طاقة بشرية أو طبيعية في ظل خطة محكمة تعتمد بالدرجة الأولى على وعي أفراده بما يتيح لهم المشاركة الايجابية في الوصول الى الهدف المنشود .

إذن فوعي الفرد لدوره هو الأساس الذي يدفعه الى تنظيم حياته بالقدر الذي يراه موائماً ومتناغماً مع قدراته الشخصية ، وأهداف المجتمع الذي يعيش فيه .

والصدق في مشاركة الفرد لا يأتي إلا بعد احساسه بأنه يعيش في مجتمع يكفل له العائد الحقيقي لمجهوده.

مجتمع العدل القادر على حمايته وحقوقه ، ولكن كيف يمكن خلق مثل هذا المجتمع، لو تفكرنا في ذلك المجتمع فإننا سنجده هو مجموع الأفراد ، أي أن صلاحه يبدأ بصلاح الفرد .

إذن فبداية الطريق إلى مجتمع الرفاهية والأمن هي اصلاح الفرد ، ولا يمكنك إصلاح الفرد إلا إذا امتلك هو بذاته تلك القنوات التي تصله بمجتمعه وتجعله على وعي دائم بمشكلاته وتطوره ، إنها قنوات التعليم والثقافة .

الجاهل عادة ما يعيش في قوقعة مغلقة لا يكاد يعرف من حياته سوى تلبية رغبات بطنه وغرائزه ، ومشاركته الاجتماعية ضئيلة ، واستجابته لأي نداء اجتماعي تكون ضعيفة ، لأنه لا يشعر بالحاجة الى مشاركته عالم مبهم غريب يتداول كلمات غير مفهومة وكلما ارتفع تعليم الفرد وثقافته كلما اتسعت دائرة وعيه ومشاركته، يعرف قرينه ومشاكلها ثم يتعداها الى المدينة التربية ، فالوطن اجمع ، حتى اذا سمت به ثقافته صار مواطناً عالمياً يشارك بفكره وبوعي كامل في حل مشاكل ذلك العالم .

إذن فنحن حين نركز على قضية تحديد النسل، فإننا في الواقع نلقي الأضواء على أعراض المرض وليس على المرض ذاته ، وحين نظن أن تحديد النسل فيه الشفاء لأمراض المجتمع فإن هذا يماثل تماماً علاج مرض باطني برش بودرة التلك على جلد المريض .

المواطن المتعلم قادر على ان يجد لنفسه الوسيلة الملائمة لتنظيم نسله تبعاً لحاجته وحاجة المجتمع ، وهو يفعل ذلك بوعي كامل واستجابة لا يحتاج الوصول اليها الى جهد كبير .

والأهم من ذلك هو مشاركته الفعالة في تنمية موارد مجتمعه وفي ارتفاع انتاجيته ودوره في تنشئة جيل جديد لا يعوزه العلم او الوعي .

وإذا كان هناك من يقول بأن المجتمع العاجز عن تنظيم نسله ، هو مجتمع الخراف كما ورد في مقال الدكتور محمد شعلان ، فمن المؤكد أن هذا وصف غير دقيق، مجتمع الخراف هو المجتمع الذي يساق أفراده الى تنفيذ أشياء لا يدركون مغزاها ولم يشاركوا قط في تحديدها .

وإذا كنا ندعو اليوم الى تحديد النسل ، فعلى أي أساس

تقوم هذه الدعوة أليس من حق المواطن المصري أن يعرف موارد بلده وخطط استغلالها ودوره في ذلك بما في ذلك حجم الأسرة الأمثل ؟

أليس من حق المواطن ان يعرف ما هو مطلوب منه ؟

قد تكون نغمة صحيحة ولكنها بالتأكيد قد صارت نغمة مملة تلك التي يتكرر العزف عليها ، لا توجد مساكن ونحن نتزايد ، لا يوجد طعام ونحن ننمو ، لا يوجد كساء ونحن لا نملك ، لماذا لا تتغير النغمة، لنتساءل لماذا لا ننتج ونحن كثيرون؟ لماذا نبدو ضعفاء ونحن أقوياء ؟ لماذا نتحدث كثيراً ونعمل قليلاً ؟ .

نحن الآن أربعون مليوناً أو أكثر، وفي الواقع فإن انتاجنا لا يتعدى انتاج العشرة ملايين ، ويجب أن يكون هذا هو مقياس تخلفنا، ماذا لو انتجنا عشرة أضعاف ما ننتجه الآن ، وليس هذا بالكلام النظري وليس بالمعجزة، وانما هو واقع يعيشه كل مصري يعمل بالخارج حيث ينتج اكثر من عشرة أضعاف ما ينتجه في مصر ، والسبب الدائم هو أن المناخ في بلده ليس هو المناخ الملائم للعمل والانتاج .

نعم : الانتاج يتزايد الآن، ولكنه في رأيي نتيجة لعوامل وقتية نشأت عن تدفق رؤوس الأموال ، ولكن هل أصلحنا

التربة ليصلح النبات ، هل غيرنا من طريقة تفكيرنا لنخلق ذلك المناخ اللازم للانتاج ، هل أعطي كل ذي حق حقه ، وضربنا بيد من حديد على كل آثم .

ذلك ببساطة هو المناخ المطلوب للانتاج ، لكي ينتج المصري في مثل ما ينتجه في خارج بلده قادر على أكثر من ذلك . .

٣ ـ مقال السيد الأستاذ محمد أحمد فهمي خطاب الذي نشر بمجلة الأمة الاسلامية عدد ١٢ من جمادى الآخرة سنة ١٤٠٣ هـ وهو بالنص كما يلي :

الدعوة الى تحديد النسل ضلال ، وينبغي الاقلاع عنها في الحال :

ثبت من الواقع بأكثر من دليل قاطع وبرهان ساطع، ان الدعوة الى تحديد النسل أو تنظيم الأسرة ، قد فشلت فشلاً ذريعاً ، ولن تحظى بأي قدر من نجاح يتوهمه أو يتخيله القائمون عليها أو الداعون اليها .

ذلك : لأن الخير لا يزال في صدور المؤمنين بالله وكتبه وملائكته ورسله وهؤلاء على الرغم من الطرق العنيف المستمر على أدمغتهم ، بوسائل الاعلام المختلفة التي تسيطر

عليها الدولة سيطرة تامة ، لا يزالون متمسكين بوحي الله الصادق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وبسنة رسوله المصطفى الذي لا ينطق عن الهوى .

وهذان المصدران القويان الصادقان ، يعتبران الجنوح ، مجرد الجنوح الى هذه الدعوة الصهيونية الخبيثة ردة عن الدين ، واتهاماً لله جلت قدرته بأن بعض مخلوقاته يستطيع أن يمنعه من فعل ما يريد وخلق ما يشاء، وهذا مستحيل لا يعقل ولا يقبل .

والعقل السليم لا يمكن أن يشك في طلاقة القدرة الإلّهية التي لا يمكن لأي مخلوق ان يحد من سلطانها .

وطلاقة القدرة من صفات الله وحده ، وهي من الآيات الدالة على القهر والجبروت والسيطرة على الملكوت ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾[1] .

وعلى أن سنة الله في خلقه ثابتة لا تتغير لها ولا تحويل ولا تبديل .

والله جلت قدرته ، الذي خلق آدم وحواء ، أول ما خلق

---

(١) سورة الأنعام (٦) آية (١٨) .

من البشـر ، يعلم آخـر من سيخلق من البشـر وغيـرهم ؛ بـل قدره وقدره من الأزل .

﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيم﴾[1] .

﴿لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾[2] .

﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾[3] .

﴿وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾[4] .

﴿نُقِرُّ الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى﴾[5] .

﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَـاءُ إِنَـاثَـاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَـاءُ آلـذُّكُـورَ ، أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً﴾[6] .

بهـذه الآيات الحكيمـة المحكمة في القـرآن الذي يتعبـد المسلمـون المؤمنون بتـلاوته ، ولا يخـالفون أحكـامـه ، ولا

---

(١) سورة يس (٣٦) آية (٧٩) .
(٢) سورة الاعراف (٧) آية (٥٤) .
(٣) سورة القصص (٢٨) آية (٦٨) .
(٤) سورة الرعد (١٣) آية (٨) .
(٥) سورة الحج (٢٢) آية (٥) .
(٦) سورة الشورى (٤٢) آية (٤٩ ـ ٥٠) .

يـأبهون لأي رأي يخـالفـه ، مهمـا يكن شـأن صـاحبـه ، بـل ويسخرون منها سراً أو علانية . وقد يضحكون وشر البليـة ما يضحك » .

وبأقوال رسوله الكريم ، وهي مستفيضة في هذا الصدد ، ومنها رده ﷺ على من سأله عن « العزل » رداً جامعاً مانعاً :

اسمع يا رجل اعزل أو لا تعزل . . فوالذي نفسي بيده ما كنت مانعاً نسمة الله خالقها .

وقوله صلوات الله وسلامه عليه :

« ان الماء الذي يكون منه الـولد » لـو أهرقـه أحدكم في صخرة واراد الله ان يخرج منه ولداً لأخرجه .

وقوله : « إياكم والعزل فإنه الوأد الخفي » .

مـاذا بعـد هــذا ؟ ردة عن دين الله ، ومعـارضــة لسنتـه الماضية ، وجنوح الى ما لا طائل وراءه ، إلا الوبال والضلال والدمار من أمراض تصيب النساء والرجال وتـرهقهم ، واهدار للأموال في هذه البالـوعة التي ليس لهـا من قرار ، واستمـرار في ارتكاب تلك الخطيئة التي لمساندتها من الدعاة الـرسميين الـذين ينضحـون عن هــوى أو جهـل أو مــرض أو غـرض ، وصغارهم :

« من يأكل خبز الكافر يضرب بسيفه » .

ما بعد هذا ، هو الحق الذي ينبغي ان يتبع ، بالكف فوراً عن تلك الدعوة الصهيونية الخبيثة ، وصرف ما ينفق على القائمين بها والداعين اليها من أموال تجاوزت مئات ، وربما أنوف الملايين ، الى أوجه الاصلاح الذي يغني من فقر ، ويشبع من جوع ، ويؤمن من خوف . . الخوف من تزايد الثروة البشرية ، الثروة الحقيقية التي تعتز بها الأمم الواعية ، لأنها تمثل عزتها ومنعتها وقوتها ، وهي النبوءة الصادقة بما يكون لها من سيادة وقيادة وريادة بين الأمم الأخرى التي ستعمل ألف حساب وحساب لقوتها المتمثلة في تزايد ثروتها البشرية ، بينما تخشى هذه الزيادة بعض النظم الحاكمة التي تسجل احصاءاتها الرسمية .

ان القدرة الإلّهية تمنح من تشاء مولوداً جديداً كل يضع ثوان على الرغم من الجيوش الجرارة التي تدعو لتحديد النسل وتنظيم الأسرة وعلى الرغم من اسلحتها المشحوذة ، من حبوب ولوالب وموانع أعدتها الصهيونية العالمية تحقيقاً لمقررات حكماء صهيون التي تهدف الى القضاء على تكاثر «الأمميين» وفي طليعتهم الأمة الاسلامية ، والشعوب العربية التي يقض تكاثرها هذا مضاجع قادة الصهيونية وزعمائها في

اسرائيل اليوم .

وقد فطن علماء الديانة المسيحية وأقطابها ورعاة كنائسها الى هذه الدعوة الصهيونية الخبيثة واغراضها الهدامة فتصدوا لتنفيدها والتحذير منها وحرموا منع الحمل لتحديد النسل بأية وسيلة من الوسائل .

ومن عجب أن التوراة التي بين ايدي اليهود ، تمنع العزل أي الحيلولة دون وصول ماء الرجل الى رحم المرأة وتجرمه وتؤثمه وتحرمه ، وتلعن فاعله .

وكان أول من اقترف جريمة « العزل » يهودي يدعى « اونان » . وتعرف المعاجم اللغوية ودوائر المعارف العلمية هذه بالجماع الاوناني .

وتصفه بأنه القذف خارجاً لعدم الحمل .

وقد انتقلت عدوى الجماع الاوناني الى شبه الجزيرة العربية في الجاهلية الأولى ، واقترفها الذين يخشون الفقر اذا كثر الولد والذين يتحاشون إنجاب الاناث اللاتي كانوا يقومون بوأدهن ، ورأوا في « العزل » اذا بديلاً لوأدهن بعد ان يولدن .

وقد نهى القرآن عن ذلك كله بقول الله تعالى في المحكم من آياته :

﴿لَا تَقْتُلُوْا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾[1] في المنبع بمنع الحمل بالعزل وقتذاك ، وبالحبوب واللوالب وغيرها اليوم .

ويقول : ﴿لَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّن إملَاقٍ﴾[2] أي بعد أن يولدوا .

ويقول : ﴿وَإِذَا الْمَؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾[3] .

ويؤكد للذين يقتلون اولادهم خشية املاق أو من املاق .

انه هو الرازق ذو القوة المتين .

وانه يرزقهم ويرزق أولادهم ودوابهم وما يعولون .

ومن كان رزقه على الله فلا يحزن .

صيحة حق أطلقها عسى أن تعيها أذن واعية في أمة الإسلام والإيمان والقرآن ، فتترك ذلك الضلال والوبال وترجع الى الحق ، والرجوع الى الحق فضيلة ، ولتثوب الى الرشاد وتتوب عن الفساد ليتوب الله عليها .

---

(١) سورة الانعام (٦) آية (١٥١) .
(٢) سورة الاسراء (١٧) آية (٣١) .
(٣) سورة التكوير (٨١) آية (٩) .

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾[1] .

و « ومن يتب يتب الله عليه » .

وسلام على الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ا . هـ .

وبعد : فإن لهيئة كبار علماء السعودية كلمة دقيقة ناسب هنا أن نذكرها بنصها وهي :

تحديد النسل يهدد الكيان الاسلامي :

« إن الشريعة الاسلامية ترغب في انتشار النسل وتكثيره ، وتعتبر النسل نعمة كبرى ومنة عظيمة منّ الله بها على عباده ، فقد تضافرت بذلك النصوص الشرعية من كتاب الله وسنة رسوله ، وأن القول بتحديد النسل ، أو منع الحمل مصادم للفطرة الانسانية ، التي فطر الله الخلق عليها ، وللشريعة الاسلامية التي ارتضاها الله لعباده .

ونظراً لأن دعاة القول بتحديد النسل ، أو منع الحمل ، فئة تستهدف بدعوتها الى الكيد للمسلمين بصفة عامة ، وللأمة العربية المسلمة بصفة خاصة ، فإن الأخذ بذلك ضرب

(١) سورة النساء (٤) آية (١٧) .

من ضروب الجاهلية ، وسوء الظن بالله تعالى واضعافاً للكيان الاسلامي المتكون من كثـرة اللبنات البشـرية وتـرابطهـا » أ . هـ .

خطورة مركز تنظيم الأسرة بمصر

وعلى ضوء هذه الحقائق التي بسطنا القول في بيانها ، فإن إقامة مركز ثابت لتنظيم الأسرة ، في دولة تدين بالله رباً ، وبالاسلام ديناً ، وبسيدنا محمد ﷺ ، نبياً ورسولاً ، يعتبر بحق ، معولاً هداماً في صرح الاسلام ، وآفة خطيرة تهدد عقيدة المسلمين .

فلو أن ما خصص أو يخصص من أموال من ميزانية الدولة المسلمة ، لينفق على هذا المركز ، وما يمنح له من الخارج من أموال التدعيم لأنشطته ، التي لا مجال لها بحال من الأحوال ، في حقل الدعوة الاسلامية، لو ان هذا خصص لاستغلاله في موارد اقتصادية مشروعة ، كاقامة مشروعات خيرية ، أو إنشاء وحدات استثمارية ، أو تعمير الصحارى الواسعة ، الصالحة للاستثمار والعطاء .

لو خصص هذا لمثل هذه الموارد وغيرها ، بطرق جادة مشروعة ، لعاد بالخير الكثير ، الذي يساهم بقسط وافر في

حل مشكلاتنا الاقتصادية والاجتماعية .

خاصة وان هذا المركز لم يحقق فائدة مرجوة ، لا من قريب ولا من بعيد ، مهما طال الزمن واستمرت الأيام .

فنرجو ونؤمل والخير لا زال باقياً ، أن يهيىء الله سبحانه وتعالى من أمرنا ما يحقق هذه الرغبة المثمرة النافعة .

ولنجرب صدقنا مع الله سبحانه : بالتوكل والاعتماد عليه ، والتفويض والتسليم له ، والاطمئنان والثقة به ، بعد استفراغ جهد طاقتنا ، بالجد في العمل الدائب ، والاتقان له ، والمواظبة عليه ، والاخلاص الكامل في كل ما نؤدي وما ندع .

إذا ما تحقق هذا وحصل ذاك : فما نظن الا أننا نصبح ونمسي في هدوء واستقرار، لن تنالنا يد الضياع، ولن تمسنا وسائل الانهيار الاقتصادي، بل ونصبح ونمسي ونحن في قرب قريب من رحمة الله الولي الحميد، التي تستجلب الرزق، وتستمطر البركات من السماء والأرض، وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ﴾[1] .

---

(١) سورة الاعراف (٧) آية (٩٦) .

فبالإيمان الصادق ، والتقوى الحقيقية والمراقبة التامة لله وبالله ، تفتح أبواب السماء ، وتنزل البركات ، وتنبع من الأرض الخيرات ، والله سبحانه هو القائل وقوله الحق ، وهو الذي وعد ، ووعده الصدق :

﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِّدْرَاراً، وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ، وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً﴾[1] .

وجل جلال الحق القائل :

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[2] .

---

(١) سورة نوح (٧١) آية (١٠ ـ ١٢) .
(٢) سورة الشورى (٤٢) آية (٢٨) .

علاج مشكلتنا الاقتصادية

وبعد هذا الاستطراد الذي رأيناه، والذي نرجو الله سبحانه وتعالى، أن يكتب له التوفيق والسداد ، لا بد من تقرير وسائل مفيدة نافعة، لحل هذه المشكلة التي ظلت في بؤرة الخلاف أزماناً طويلة .

ومن هذه الوسائل اللازمة لحل هذه المشكلة :

١ ـ الايمان بالله تعالى ، وتقوى الحق سبحانه ، وفي مقدمة الايمان والتقوى :

التوبة الصادقة النصوح بسائر مسائلها المفروضة ، والصدق فيها مع الله تعالى ، والالتزام التام لما أمر به ، أو نهى عنه ، يقول سبحانه :

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا ٱللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ، وَلَمْ يُصِرُّوْا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ، أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ

وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِيْنَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[1] .

ويقول عز من قائل :

﴿وَتُوبُوا إِلَىٰ ٱللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَ﴾[2] .

والأمر الجامع للتحلي بصفات المؤمنين ، الواردة في القرآن الكريم :

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰ آمَنُوْا وَٱتَّقُوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ ٱلسَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾[3] .

فإذا حصل الايمان وتحققت التقوى، فتحت بركات السماء والأرض ، فيعم الخير ، ويسبغ النعيم، وتسود السعادة، وتهدأ القلوب، وتطمئن النفوس فينعم العباد ، وتسعد البلاد .

أما إذا حصل العدول عن الايمان والتقوى، إلى التكذيب

---

(١) سورة آل عمران آية (١٣٥) .

(٢) سورة النور (٢٤) آية (٣١) .

(٣) سورة الأعراف (٧) آية (٩٦) .

بآيات الله تعالى ووعده ، فلا يحق علينا إلا ما عبر عنه عجز الآية الكريمة : « ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون » .

ولا يخفى على أحد أن أخذ الله أليم شديد .

أخرج الإمام مسلم عن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :

« إن الله ليملي للظالم ، فإذا أخذه لم يفلته ، ثم قرأ :
﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَـٰلِمَةٌ ، إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[1] .

وواضح تماماً أن الله تعالى ، أخذنا بظلمنا ، وقسوة قلوبنا ، وفساد أعمالنا ، وتكاسلنا عن الطاعات ، وهجومنا على المخالفات .

فلم يبق اليوم لمن أراد السعادة إلا الامتثال لما أمر الله ونهى ، والتحقق بتقوى الله سبحانه والتوكل عليه تعالى :

أخرج الإمام أحمد في مسنده ، والترمذي في سننه ، وابن ماجة في سننه ، عن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

---

(١) سورة هود (١١) آية (١٠٢) .

« لـو أنكم توكلون على الله تعـالى حق تـوكله ، لـرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصاً ، وتروح بطاناً » .

والتوكل الذي أشار إليـه الحديث ، هـو : تفويض الأمـر إلى الله سبحانه ، وأمارته : ترك التدبير بشهود التقدير ، والثقة بالموعود عند عدم الوجود ويتبين ذلك : بانتفاء الاضـطراب ، عند عدم الأخذ بالأسباب .

وهذا المعنى الجليل ، تحقق فيـه وبه الـطير ، الـذي لا عقل له ، ولا تمييز عنده ، حينما أخذ هذا الطير بالأسبـاب ، يغدو خماصاً ، ويروح بطاناً .

فكيف يرزق الله الطير الذي لا عقل له ولا تمييز عنده ؟

إنما رزقه الله ويرزقه بحقيقة توكله عليه غدواً ورواحاً .

وهكـذا ضرب لنـا سيدنـا رسول الله ﷺ ، المثـل بالـطير حال توكله ، ليكون شأن الانسان كذلـك ، لو تـوكل على الله سبحـانـه ، في غـدوه ورواحـه ، وسعيـه وكـده، ومنشـطه ومكرهه ، ولهذا قال صلوات الله وسلامه عليه :

« لـو توكلون على الله تعـالىٰ ، حق تـوكله لـرزقكم كمـا يرزق الطير تغدوا خماصاً وتروح بطاناً » .

وصـدق الإمام علي رضي الله عنـه ، وكـرم الله وجهـه إذ

يقول :

(من أراد غنى بلا مال ، وهيبة بلا سلطان ، وعزاً بلا عشيرة ، فليتق الله ، فإن الله يأبى أن يذل إلا من عصاه) .

٢ ـ الضرب بيد من حديد على يد العابثين باقتصاد موارد الدولة وأموالها ، خاصة وأن ما يرتكب من جرائم الاختلاس والتبديد ، والابتذاذ والتهريب ، لا يخفى على أحد فإذا ما تم هذا ، فنرجو ونؤمل أن يحقق الله الثراء العريض للدولة ، وأن يبارك انتاجها ، حتى تنزل البركات ، وتنبع الخيرات ، وتعم السعادة ، ويسبغ الفضل والنعيم .

٣ ـ العمل الجاد في صدق وايمان ، ومراقبة الله تعالى ، لاستغلال موارد الدولة ، واقتصادها وخيراتها ، والاستفادة بكنوزها الدفينة .

٤ ـ الاعتدال في وسائل المعيشة ، والاكتفاء بالضروريات ، وشكر الله على هذا ، وتقديم الحمد والثناء لله تعالى على ما أسبغ علينا من نعم، وما أفاء به علينا من فضل ، فإن الشكر يستوجب المزيد ، يقول سبحانه :

﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1] .

---

(١) سورة إبراهيم (١٤) آية (٧) .

ويلزم الاعتدال والاكتفاء بـالقليل ، والشكـر على ذلك ، تــرك الجشـع والــطمـع والبعــد عن الاسـراف في الملذات والشهوات .

﴿وَلاَ تُبَــذِّرْ تَبْـذِيــراً ، إِنَّ ٱلْمُبَــذِّرِيْنَ كَــانُــوْا إِخْــوَانَ الشَّيَاطِين ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾[1] .

وبعـد : فـإن الإسـلام وتف بنـا كثيـراً عنـد حــدود الله سبحـانـه ، حتى لا تنتهـك بحـل من حــرام ، فـلا يحملنكم استبطاء الرزق أن تأخذوه بمعصية الله تعالى ، فإن الله لا ينال ما عنده إلا بـطاعته ، ولا يشغلنكم المضمـون لكم من الرزق عن المفروض عليكم من العمل ، فتضيعوا أمر آخرتكم ، ولا تنالوا من الدنيا إلا ما قد كتب الله لكم ، فـإنه ليس أكـرم عند الله سبحانه ، من النفس الطائعة لأمـره فاتقـوا الله واجملوا في الطلب .

وبالله التوفيق . . . .

---

(١) سورة الاسراء (١٧) آية (٢٦ ـ ٢٧) .

فهرس محتويات الكتاب